



مركز الفكر  
الاستراتيجي  
للداسات

55  
أوراق  
سياسية



إلغام الحدابي

نظرة نقدية

# للوامع المعاصر

قراءة في أعمال نعوم تشومسكي



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

## المحتويات

5	المقدمة.....
7	التنشئة والبدايات الفكرية والنقدية .....
8	التنشئة الأولى.....
10	الإجازات العلمية والأكاديمية .....
14	المسار الفكري والنقد السياسي.....
14	النشاط السياسي .....
18	مسار النقد الداخلي (السياسة العامة للولايات المتحدة الأمريكية) .....
18	تقليص دور الديمقراطية.....
19	تشكيل الإيديولوجيا.....
20	إعادة تصميم النظام الاقتصادي.....
22	نقل عبء الضرائب .....
23	مهاجمة مبدأ التكافل الاجتماعي.....
24	إدارة الأجهزة التنظيمية.....
25	هندسة الانتخابات .....
26	اعتماد مبدأ السيطرة على الرعاع.....
28	اعتماد مبدأ صناعة الموافقة والرضا.....
29	اعتماد مبدأ تهميش المجتمع.....

30	..... مسار النقد الخارجي
30	..... السياسة الخارجية الأمريكية
37	..... الأمن والتفوق العسكري
39	..... الهيمنة وفيروس الاستقلال
42	..... قضايا الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية
47	..... التحديات الصاعدة
53	..... التهديدات العالمية
55	..... الشركات متعددة الجنسيات
57	..... المثقف ودوره في المجتمع
59	..... خاتمة
61	..... قائمة المراجع

## مقدمة

يعد المفكر الأمريكي نعيم تشومسكي أحد أبرز الشخصيات المعرفية على مستوى العالم؛ نظراً لانشغاله بمختلف القضايا الحقوقية والإنسانية حول العالم؛ إذ على الرغم من خلفيته الأكاديمية اللغوية البحثية انشغل مبكراً بالشأن العام، خصوصاً ما يتعلق بالسياسة الخارجية الأمريكية؛ إذ عاصر كثيراً من التغيرات السياسية والاقتصادية التي مرت بها الولايات المتحدة الأمريكية في ظل تعاقب واختلاف الرؤساء الذين تبناوا مقاربات سياسية تكاد تكون متطابقة فيما يتعلق بالتعامل مع الشعوب الأخرى في سبيل تعزيز النفوذ العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة الأمريكية على مستوى العالم.

وقد وظف تشومسكي قلمه لانتقاد الممارسات اللإنسانية التي تبنتها السياسة الخارجية الأمريكية ضد فيتنام ودول أمريكا الجنوبية، كما ركز كثيراً - في كتاباته الغزيرة - على نقد سياسة الكيل بمكيالين في التعامل مع شعوب دول منطقة الشرق الأوسط، موقعاً تمرکز المصالح الاستراتيجية الأمريكية.

إضافة إلى اهتمامه بقضايا الشأن العام يتميز تشومسكي بغزارة إنتاجه وبساطة لغته، وهو ما جعل تأثيره في الرأي العام الأمريكي كبيراً، ونظراً لسعة اطلاعه ومعاصرته لكثير من التغيرات العالمية التي شهدتها العالم على مختلف الأصعدة، يستطيع تشومسكي أن يربط القضايا بعضها ببعض، ليعمق من فهم القارئ لمجريات واقعه. ومن ثم جاء اختيار هذه الشخصية والاطلاع على إنتاجها المعرفي الثري لتسهم في تشكيل وعي متوازن لدى القارئ العربي وعي يمكنه من فهم أبعاد الواقع بتحدياته المتنوعة، إذ لا يمكن-

وفقاً للمنطق المعاصر/ تأثيرات العولمة- مناقشة القضايا المحلية بمعزل عن تشابك المصالح الإقليمية والدولية على حد سواء.

تناقش هذه الورقة العوامل الرئيسة الأولى التي أسهمت في تشكيل شخصية هذا المفكر، وتحاول أن تقف على أبرز إنتاجاته الأكاديمية العلمية ومواقفه السياسية؛ بهدف تكوين وجهة نظر عامة حول إنتاجه الفكري في مجال النقد السياسي، خصوصاً أنه يُعرف بنظرته الموسوعية المستندة إلى ترابط الأحداث في تسلسل تاريخي؛ لكونه شهد مرحلة الصعود الأمريكي، وقاربه من منطلق الشاهد لا المعاین وحسب، وشاهد المنطق الاستراتيجي الإمبريالي والتعسفي الذي صاغ سياسات هذا البلد وتحكم في المفردات الدولية التي فرضت بموجب منطق الهيمنة الاقتصادية والنفوذ العسكري الذي تتمتع به الولايات المتحدة الأمريكية.

كما تهدف هذه الورقة إلى إفادة القراء من التحليلات النوعية التي تشملها نظرة تشومسكي للواقع بشكل عام والواقع العربي بشكل خاص، إذ تتميز هذه النظرة بأنها نظرة من الداخل الأمريكي نفسه، نظرة يمكنها أن تعمق بشكل كبير فهم الموقف الأمريكي تجاه القضايا العربية وتشابكاتها ضمن ملفات الصراع العسكري والاقتصادي والسياسي، ليصبح لدى القارئ فهم أعمق وأشمل بالتحديات التي تواجه محاولات التغيير التي ابتدأت منذ عقود ولم تحقق الكثير؛ نتيجة لغياب الرؤية الواضحة حول جذور التحديات التي تواجهه وأبعادها.

## التنشئة والبدائيات الفكرية والنقدية

يعد نعوم تشومسكي أحد أبرز المؤثرين فكرياً على مستوى عالمي في القرن الحالي، وهو فيلسوف ولغوي وعالم إدراكي وعالم بالمنطق ومؤرخ وناقد وناشط سياسي أمريكي، كما يعد أستاذ لسانيات فخرياً في قسم اللسانيات والفلسفة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، إذ عمل فيه أكثر من خمسين عاماً.

كذلك يعد من أبرز مثقفي العالم، إذ صُنِّف في المرتبة الثامنة ضمن أكثر المراجع التي يُستشهد بها على الإطلاق، ضمن قائمة تضم الإنجيل و كارل ماركس وغيرهما من الشخصيات المؤثرة. يوصف أيضاً بأنه «أبو علم اللسانيات الحديث»، إضافة إلى أنه يعد شخصية رئيسية في الفلسفة التحليلية، إذ أسهم عمله في مجالات عدة؛ كعلوم الحاسب والرياضيات وعلم النفس. ويعد مؤسس نظرية (النحو التوليدي) التي تعد من أهم الإسهامات في مجال اللسانيات النظرية في القرن العشرين، ويعود إليه فضل تأسيس ما يعرف بـ(تراتب تشومسكي ونظرية النحو الكلي)، ونظرية تشومسكي-شوتزبرقر.

إضافة إلى تميزه في الجانب الأكاديمي عرف على نطاق واسع بنقده السياسي بشكل عام، ونقده السياسة الخارجية الأمريكية بشكل خاص، كذلك ألف عدة كتب في مجال نقد رأسمالية الدولة وآثارها، وتأثير وسائل الإعلام والدعاية، وألف أكثر من 100 كتاب، دار معظمها في مجال الحروب والسياسة ووسائل الإعلام، ومعظمها اصطبغت بالنقد السياسي<sup>1</sup>.

## التنشئة الأولى

وُلد أفرام نعوم تشومسكي في 7 ديسمبر/كانون الأول 1928، في فيلادلفيا بنسلفانيا، لوالدين يهوديين، فوالده الدكتور ويليام زيف تشومسكي (1896-1977) يهودي أشكنازيّ، ولد في أوكرانيا التي كانت جزءاً من الإمبراطورية الروسية، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1913، وعمل معلماً للغة العبرية في مدرسة ابتدائية في هيرو، ثم أكمل تعليمه في جامعة جون هوبكينز<sup>2</sup>.

ووالدته هي إلسي سيمونفسكي التي ولدت في ما يعرف اليوم ببيلاروسيا -روسيا البيضاء- لكنها نشأت في الولايات المتحدة، وبعد أن ارتبطت بوليام تشومسكي انتقلا إلى فيلادلفيا حيث بدأ هناك التدريس في مدرسة دينية يهودية، وترقى ويليام في وظيفته حتى منح منصب المدير هناك. وفي عام 1924 عيّن في كلية غراتز التي تعد أقدم مؤسسة لتدريب المعلمين في البلاد، حيث بدأ رئيساً لهيئة التدريس في عام 1932. كما بدأ تقديم دورات للتدريس في كلية دروبسي في عام 1955. وفي أثناء ذلك انشغل بإجراء بحث حول العبرية في القرون الوسطى، ثم عمل على تأليف سلسلة من الكتب حول اللغة العبرية مثل: «كيفية تعليم اللغة العبرية في الصفوف الابتدائية» (1946)، «العبرية قصة لغة حية» (1947)، «العبرية اللغة الخالدة» (1957)، «التعليم والتعلم» (1959)، إضافة إلى نسخة منقحة من «قواعد العبرية» لديفيد كيمنس (1952)<sup>3</sup>.

يعد تأثير العائلة أحد أبرز العوامل التي شكلت شخصية

<sup>2</sup> Amy Goodman, "The Life and Times of Noam Chomsky". Democracy Now, November 2004 ,26, reached on: September 2020 ,7, available in: <https://cutt.ly/ufQLOJq>

<sup>3</sup> Robert F. Barsky, "Noam Chomsky: A Life of Dissent Hardcover" February 1997 ,1. P:10-9.



المفكر تشومسكي، إذ أسهم والداه المتخصصان في مجال اللغة في التأثير الكبير فيه، ويتضح ذلك من خلال براعته في مجال اللغة؛ إذ يعد مؤسس علم (النحو التوليدي)، كما أشير سابقاً. وتعد البيئة التعليمية التي نشأ فيها تشومسكي العامل الثاني الذي أسهم في تشكيل معرفته الموسوعية، إذ تلقى تعليمه الأساسي من مدرسة أوك لين كونتري دي، وهي مؤسسة مستقلة تركز على السماح لطلابها بالبحث عن اهتماماتهم في جو غير تنافسي. وخلال دراسته في تلك المدرسة كتب مقالته الأولى وهو في سن العاشرة، كانت تلك المقالة عن انتشار الفاشية بعد سقوط برشلونة في الحرب الأهلية الإسبانية. وخلال هذه السن المبكرة من حياته تبني الأفكار الأناركية (اللاسلطوية)، لكنه في سن الثانية عشرة انتقل إلى المدرسة الثانوية في سنترال فيلادلفيا، وهناك انضم إلى نوادٍ ومجموعات مختلفة مكنته من الاطلاع على أفكار سياسية واجتماعية مختلفة<sup>4</sup>.

العامل الثالث الذي أسهم في تشكيل شخصيته هو العامل السياسي؛ بنفسه الثوري وصبغته اليسارية، إذ لم يقتصر تأثير والديه عليه في المجال الأكاديمي، بل تأثر أيضاً بمواقفهما السياسية، فوفاً لوصفه لهما كانا يميلان إلى المبادئ الديمقراطية بصبغتها الروزفيلتية، حيث تبني الموقف اليساري المتوسط على الساحة السياسية. كما تأثر أيضاً باليسار المتطرف من خلال أفراد آخرين من عائلته، إذ كان بعضهم اشتراكيين مشاركين في النقابة الدولية للسيدات العاملات لصناعة الملابس<sup>5</sup>، لكنه تأثر كثيراً بتيار اللاسلطويين اليساريين من خلال عمه الذي كان يملك

<sup>4</sup> منصر مرعي، أسامة أبو ارشيد، من وحي القلم: نعوم تشومسكي كاتب منشق، قناة الجزيرة، 9 يونيو/حزيران 2015، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020. <https://cutt.ly/tfQXNvx>

<sup>5</sup> Barsky 1997. P.14.

كشك صحف في مدينة نيويورك، حيث كان اليهود اليساريون يحضرون لنقاش قضايا الساعة. ومن خلال الاجتماعات وزيارة كشك عمه اطلع تشومسكي على المبادئ الأساسية للاسلطوية واليسارية، وأصبح قارئاً فحماً للأدب السياسي<sup>6</sup>، وتمكن من خلال اطلاعه المبكر على مختلف الإيديولوجيات السياسية من تكوين معرفة موسوعية بجذورها، واستفاد من مهارات التفكير والتحليل التي أتاحت له من خلال تخصصه باللغة فوظفها في نقد مختلف التيارات السياسية، وتشكيل وجهة نظر خاصة به- تكاد تكون معارضة في الغالب- لمختلف القضايا القديمة والمعاصرة على حد سواء.

### الإجازات العلمية والأكاديمية

على الرغم من أن انتقاداته للسياسة الخارجية الأمريكية هي التي شكلت وجهة النظر العالمية حوله، فقد تميز تشومسكي في تخصصه الأكاديمي في الجانب اللغوي؛ إذ بعد أن حصل على البكالوريوس في الفلسفة واللسانيات من جامعة بنسلفانيا عام 1949، وخلال سنوات تعليمه الجامعي، تأثر باللغوي الروسي زيلينج هاريس الذي شجعه على مواصلة تخصصه في مجال النظريات اللسانية، وازداد اهتمامه بالفلسفة؛ بفضل تشجيع الفيلسوف والمفكر الأمريكي نيلسون غودمان. ونال شهادة الماجستير عام 1951 بأطروحته (الصيغ الصرفية في العبرية)، ونشر بعد ذلك بعام أول مقالاته الأكاديمية حول (نظم التحليل النحوي) في مجلة (المنطق الرمزي)<sup>7</sup>.

<sup>6</sup> Harry Kreisler, "Activism Anarchism and Power" Noam Chomsky Interview: Conversations with History; Institute of International Studies, UC Berkeley, reached on: September 2020 ,7, available in: <https://cutt.ly/zfQCiyk>

<sup>7</sup> الجزيرة نت، نعوم تشومسكي.. المفكر المناهض لسياسة أميركا، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020. <https://cutt.ly/pfhdKip>

قدم نعوم تشومسكي رسالة الدكتوراه في التحليل التحويلي في جامعة بنسلفانيا وحصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1955، وفي نفس العام عين أستاذاً مساعداً في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، حيث طلب منه قضاء وقتٍ طويل في مشروع الترجمة الآلية إلى جانب واجباته التدريسية، وخلال عامين ترقى إلى منصب أستاذٍ مشارك. كذلك شغل منصب أستاذٍ زائر في جامعة كولومبيا بين عامي 1957-1958، وحصل على زمالة المؤسسة الوطنية للعلوم التابعة لجامعة برينستون<sup>8</sup>.

وفي هذا العام أيضاً (1957) نشر كتابه الأول (الهاكل النحوية)، استناداً إلى سلسلةٍ من المحاضرات التي قدّمها لطلابه في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. في هذا الكتاب قدم العديد من الأفكار الجديدة التي أثارت إعجاب كبير أعضاء هيئة التدريس في الجامعة، فطلب منه ومن زميله موريس هالي إنشاء برنامج جديد للتخرج في دراسة علم اللغة، وقد أثبت البرنامج نجاحاً كبيراً وجذب العديد من الطلاب البارزين، مثل روبرت ليس وجيري فودور وجيرولد كاتز، الذين أصبحوا في نهاية الأمر من اللغويين المشهورين في حقولهم الخاصة<sup>9</sup>.

أصبح عام 1961 أستاذاً في قسم اللغات الحديثة واللسانيات بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وحصل بين عامي 1966-1976 على لقب أستاذ فخري للغات الحديثة واللسانيات، ثم عُين عام 1976 برتبة بروفيسور في هذا المعهد الذي منحه وظيفة أستاذ فيه مدى الحياة. ومع استمراره في العمل الأكاديمي استمر في إنتاجه

8 المصدر السابق.

9 أراجيك بايوجرافي، من هو نعوم تشومسكي؟!، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020.

<https://cutt.ly/ufjrjKg>

الفكري في مجال اللغة، إذ نشر العديد من الأعمال المؤثرة مثل (جوانب نظرية البناء) عام 1966، و(مواضيع في نظرية القواعد التوليدية) عام 1966، و(اللغويات الديكارتية: فصل في تاريخ الفكر العقلاني) عام 1966.<sup>10</sup>

وتعرف نظرية النحو التوليدي التي أسسها تشومسكي بأنها عبارة عن نظام دقيق يصف الأحكام والأركان التي تكون أي جملة يمكن إنشاؤها في أي لغة في العالم، وتقوم نظريته على شيء من الفطرية، فهو يقول: إنَّ كلَّ إنسان يعرف المبادئ العامة للغة منذ أن يأتي إلى الحياة، وهذه المبادئ ليست حكراً على لغة دون غيرها، فهي موجودة في كلِّ اللغات، وهي مبادئ تجتمع لتكون قواعد شاملة.

لم يقف تشومسكي عند هذا الحدّ، بل طوّر نظريته هذه لأنّه كان متفقاً مع فكرة اللغة المكتسبة، أي أنّ الأطفال يتعلمون اللغة ممن حولهم، وهذا من باب التعليم المكتسب، أو التعليم بالتقليد الأعمى، واعتقد تشومسكي أنّ سماع اللغة المتكلم بها يساعد على زيادة القدرة اللغوية عند الأطفال منذ ولادتهم، وهذا الكلام يعني أنّ الطفل يلدّ وهو يملك قدرة لغوية بسيطة، ويملك مبادئ لغوية عامة، ويطورها عند سماعه اللغة التي يتكلم بها الأشخاص حوله.<sup>11</sup>

وفي دراسته للغة يضع تشومسكي اللغة ودراستها داخل سياق أوسع، كجزء من بحث عملي معمّق في طبيعة النفس البشرية. يشتمل هذا على مناقشة بُنية العقل وعلاقته بالجانب النفسي،

10 المصدر السابق.

11 محمد شوب، نظرية تشومسكي اللغوية، موقع سطور، 28 مارس/آذار 2019، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020. <https://cutt.ly/mfhgm5Z>

ويستنتج أن حيازة لغة ما لا تمثل شرطاً مسبقاً لحيازة عقل، فإن اللغة تمثل دليلنا الأقوى بلا منازع على طبيعة العقل؛ فهي تمثل ذلك التعريف الواضح لماهيّة أن يكون عليه الإنسان، والطريق لدراسة عقل هذا الإنسان.

ومن خلال التمييز ما بين الكفاءة والأداء، والبرهنة على أن معرفتنا اللغوية قابلة للدراسة من خلال طرق البحث العلمي الاعتيادية كجزء من العالم الطبيعي من حولنا، وليس كما لو أنها فرع من الرياضيات أو علم الاجتماع، تمكن تشومسكي من وضع علم اللسانيات ضمن تيار العلم السائد، كما تمكن من تسليط الضوء على جوانب العقل البشري الأخرى، مقترحاً تحليلات ومقدّمات أدلة على رؤية (منمذجة) لقدراتنا، وقد استلزم ذلك إسقاط وجهات النظر السابقة عن اللغة والعقل، وإشراك أفكار جديدة وخلاقة في عملية رسم الفرق الواضح ما بين المعرفة واستخدام تلك المعرفة.

وبشكل عام يُستخلص من تجربة تشومسكي الفكرية والبحثية في ميدان تطوّر ملكة اللغة أن المبادئ اللسانية على وجه الخصوص قد يكون لها دور أصغر لتؤدّي به، سواء في ميدان اللسانيات أم "الخصائص المحدّدة للذكاء البشري"، حيث نتوقع من علم اللسانيات أن يُسلّط الضوء عليه. وعوضاً عن ذلك قد يتحدد العديد من خصائص ملكة اللغة البشرية والفكر الإنساني من خلال خصائص أنظمة الإدراك الأكثر عمومية، إلى جانب القوانين الطبيعية بصورة أعم.<sup>12</sup>

أمام الإنجازات الكثيرة والمتنوعة اختارته (لندن تايمز)، في عام

12 حسن صعب، تشومسكي الأفكار والمثل، موقع الميادين، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020.

<https://cutt.ly/gfhgMLT>

1970، بصفته أحد «صنّاع القرن العشرين»، وكُرّم بجائزة (APA) للمساهمات العلمية المتميزة في علم النفس عام 1948، وفاز بجائزة (NCTE George Orwell) للمساهمة المتميزة في الصدق والوضوح في اللغة العامة مرتين عامي 1987 و 1989. شملت الجوائز والأوسمة المتنوعة التي حصل عليها أيضاً جائزة كيوتو في العلوم الأساسية عام 1988، وميدالية هلمهولتز عام 1996، وبنجامين فرانكلين في مجال الحاسوب والعلوم المعرفية عام 1999<sup>13</sup>.

### المسار الفكري والنقد السياسي

من يتتبع سيرة تشومسكي يرى مفكراً موسوعياً أحاط بجوانب اللغة، وعلى الرغم من كونه شخصية ليست سياسية تمكن من فرض نفسه على مستوى التأثير السياسي بسبب المسار النقدي الذي اتخذه منذ الحرب الأمريكية على فيتنام في 1955. وكان للخلفية المعرفية الموسوعية، إضافة إلى النفس الثوري الذي تأثر به خلال مرحلة مبكرة من حياته، دور كبير في دفعه للاهتمام بالشأن العام. لا على نطاق الولايات المتحدة الأمريكية وحسب، بل على نطاق العالم.

### النشاط السياسي

منذ أواخر الستينيات انخرط نعوم تشومسكي بشكل كبير في مجال النشاط التوعوي السياسي، إذ أعلن رفضه للسياسة الخارجية الأمريكية في 1967، القائمة على التدخل في شؤون الآخرين وزعزعة استقرارهم في سبيل الحفاظ على مصلحتها، وعبّر عن ذلك في مقالة شهيرة له بعنوان (مسؤولية المثقفين)، نُشرت في (The New York Review of Books) بالعدد الصادر في فبراير/ شباط 1967.

<sup>13</sup> أراجيك بايوجرافي، من هو نعوم تشومسكي؟!، مصدر سابق.

في عام 1969 نشر كتابه السياسي الأول (القوة الأمريكية والمندرين الجدد)، وشرح فيه بالتفصيل معارضته لحرب فيتنام. ونشر العديد من الكتب السياسية الأخرى خلال السنوات اللاحقة، وهي: (في حرب مع آسيا) عام 1971، و(أولاد البنات) عام 1973، و(لأسباب الدولة) عام 1973، و(السلام في الشرق الأوسط) عام 1975، وجميع هذه الكتب ناقشت بالتفصيل الاستراتيجيات الأمريكية التي تستخدمها في تبرير تدخلاتها السياسية والعسكرية من أجل الحفاظ على استقرار ما عرف بـ(النظام الدولي).

لم يكتف تشومسكي بالاعتراض من خلال الكتابة والتنظير، بل انخرط في النشاط اليساري، وتعاون مع أشخاص آخرين، مثل ميشيل غودمان ودينيس ليفيرتوف ووليام سلوان كوفين ودوايت ماكدونالد؛ بهدف تأسيس المقاومة الجماعية المعادية للحرب، من أجل تشكيل رأي عام يسهم في وقف الخطوات العدوانية التي تغلف السياسة الخارجية الأمريكية. واستخدم صلاحياته بصفته أكاديمياً في توعية الطلاب حيال القضايا العادلة التي يجب أن يتخذوا من أجلها مواقف فاعلة، وأدار مع زميله لويس كامبف دورات خاصة حول السياسة في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا بشكلٍ مستقل عن قسم العلوم السياسية.

ولم تقتصر نشاطاته التوعوية على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، بل سافر إلى هانوي في فيتنام في عام 1970 لإلقاء محاضرة في جامعة هانوي للعلوم والتكنولوجيا، وزار في هذه الرحلة أيضاً مخيمات اللاجئين في لاوس. وفي العام التالي قدم محاضرات برتراند راسل التذكارية في جامعة كامبريدج، وجمعت تلك المحاضرات ونُشرت تحت عنوان (مشكلات المعرفة والحريّة) في أواخر عام 1971.

وخلال السبعينيات سافر إلى عدة دول من العالم لإلقاء محاضرات في الجانبين السياسي واللغوي، وأصدر أعمالاً لغوية متميزة خلالها؛ على غرار: (دراسات حول علم الدلالة في القواعد النحوية) عام 1972، وهي نسخة موسعة من (اللغة والعقل) عام 1972، و(تأملات في اللغة) عام 1975. وفي الجانب السياسي كان من أهم الأعمال التي ألفها خلال تلك السنوات كتاب بعنوان (مكافحة الثورة الثورية- دماء الدم في الحقيقة والدعاية)، الذي كتبه بالتعاون مع إدوارد إس هيرمان، وقد نُشر الكتاب في عام 1973، وهو يحتوي على نقد للسياسة الخارجية للولايات المتحدة في الهند الصينية مع التركيز بشكلٍ كبير على حرب فيتنام.

وخلال الثمانينيات زاد نشاطه السياسي، فسافر إلى ماناغوا كاراغوا خلال حرب كونترا في عام 1985، وألقى محاضراتٍ عامة حول السياسة واللغويات لمنظمات العمال واللاجئين. جُمعت العديد من هذه المحاضرات ونُشرت فيما بعد باسم «حول السلطة والإيديولوجيا: محاضرات ماناغوا» في عام 1987.

وفي عام 1988، شارك تشومسكي وهيرمان في كتابة «الموافقة الصناعية: الاقتصاد السياسي للإعلام الجماهيري»، وقد وُصف في هذا الكتاب ما أطلق عليه المؤلفان «نموذج الدعاية» كأداة لفهم الإعلام السائد. اقتُبس عن الكتاب في وقتٍ لاحق فيلم «الموافقة الصناعية: نعوم تشومسكي والإعلام» (1992).

وخلال الفترات اللاحقة اهتم بالقضايا السياسية والحقوقية والثورية على غرار استقلال تيمور الشرقية من إندونيسيا 1999، حيث ألقى محاضرات حول هذه القضية في أستراليا نشرت بعنوان "القوى والآفاق" عام 1996 في وقت لاحق.



وفي التسعينيات استقال من مهنة التدريس وتفرغ لنشاط النقد السياسي. ونتيجة لغزارة إنتاجه الفكري ومواظبته على نقد السياسة الخارجية الأمريكية، إضافة إلى متابعته لمآلات كثير من القضايا الثورية والحقوقية أجري معه العديد من المقابلات، وشارك في إلقاء محاضرات في مختلف الدول، حولت معظم هذه المقابلات والمحاضرات إلى كتب على غرار كتاب (11-9) في أواخر عام 2001، الذي صدرت طبعة منقحة منه بعنوان «11-9: هل كان هناك بديل؟» في عام 2011. في هذه المقالات حلّل تشومسكي الأحداث التي أدّت إلى 11-9 بطريقةٍ غير منحازة، وعبّر عن انتقاده لاستخدام الولايات المتحدة العشوائي للسلطة، واصفاً إيّاها بأنّها «دولةٌ إرهابية رائدة»<sup>14</sup>.

14 أراجيك بايوجرافي، من هو نعيم تشومسكي؟!، مصدر سابق.

## مسار النقد الداخلي (السياسة العامة للولايات المتحدة الأمريكية)

عرف تشومسكي على مدار عقود بنقده اللاذع للسياسات الخارجية الأمريكية، لكنه في نفس الوقت ركز على نقد السياسات العامة التي شهدت جملة من التغيرات السياسية التي فرضتها تغيرات السوق، وهو ما جعلها تمثل تحدياً حقيقياً يشكل ضغطاً من الداخل قد يسهم فيما يطلق عليه تشومسكي ”الأفول الأمريكي“.

بصفته مفكراً لاسلطوياً ينتمي إلى اليسار يركز تشومسكي في تحليله للسياسات العامة الأمريكية على تراجع مستوى الحقوق والحريات والديمقراطية من جراء تغيرات السوق التي فرضها تنامي دور المؤسسات المالية على حساب المؤسسات السياسية. وبشكل عام يشير تشومسكي إلى وجود عشرة عوامل تشكل التهديد الداخلي للولايات المتحدة الأمريكية تتمثل بعشرة مبادئ لتركيز الثروة والسلطة، وهي كالتالي:

### 1- تقليص دور الديمقراطية

يشير تشومسكي في كتاباته إلى أنه على الرغم من وجود أنظمة ديمقراطية في الدول المتقدمة كالولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، فإن هذه الديمقراطية تناقصت فاعليتها نتيجة لعوامل عدة، أبرزها تأثير الأسواق المالية في سيورة الانتخابات وصناعة آراء الناخبين، ومن ثم نحن نتحدث عن ديمقراطية ليست حقيقية؛ لأن هناك قوى - غير الإرادة الشعبية- تمتلك تأثيراً ساحقاً في النتائج الانتخابية<sup>15</sup>.

وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فيشير تشومسكي إلى أن قضية

<sup>15</sup> نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، ترجمة أسعد الحسين، مكتبة بغداد، سورية، 2014، ص 18.

الديمقراطية كانت وما زالت قضية شائكة بالنسبة إلى المجتمع الأمريكي الذي أسست ديمقراطيته من البداية لتحمي صلاحيات الأثرياء على حساب الفقراء، ولم يكن يعترف بحق الانتخاب للعبيد أو السكان الأصليين أو للنساء على مدار عقود، ولم يتحسن ذلك الوضع إلا في القرن العشرين، وكان للحركات العمالية والانتعاش الاقتصادي الذي شهدته الولايات المتحدة الأمريكية في الستينيات دور كبير في بناء الوعي المجتمعي تجاه حقوقه السياسية والاقتصادية، ولم يحدث ذلك بسهولة، بل حدثت جملة من الانتفاضات والمطالبات التي أفضت في نهاية المطاف إلى الاعتراف بتلك الحقوق، لكن الوضع منذ السبعينيات تغير كثيراً؛ بسبب التغيرات الاقتصادية التي عمقت الفجوة الاقتصادية والطبقية التي رسخها النظام الرأسمالي المشوه الذي تعتمده السلطات الأمريكية منذ ذلك الوقت<sup>16</sup>.

## 2- تشكيل الإيديولوجيا

للأفكار دور كبير في تشكيل القناعات ومن ثم بناء سلوكيات الأفراد، وهو ما توليه السلطات السياسية اهتماماً كبيراً من أجل السيطرة على الناخبين، فمنذ أن انتشرت فكرة الحقوق وترسخت الديمقراطية أصبح من الصعب إقناع الناس بالقوة، وبدلاً من ذلك استُخدمت وسائل الإعلام والدعاية من أجل إعادة صياغة قناعاتهم بما يخدم السلطة السياسية التي تخدم بدورها السلطة الاقتصادية التي تمولها في حملاتها الانتخابية.

وخلال الستينيات كان هناك جهد منظم من قبل قطاع الأعمال للمطالبة بالمساواة، كان ذلك خلال ولاية الرئيس

<sup>16</sup> نعوم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، فيلم بواسطة بيتر هويتشيسون، وكيلي بايكس، وجاريد ب. سكوت.

الأمريكي ريتشارد نيكسون، وكان رد الأحزاب السياسية اليمينية تجاه هذه الجهود بأن حذرت منها، وعدتها تهديداً مباشراً للديمقراطية التي تتحكم فيها النخب، في حين لم يختلف موقف التيار الليبرالي كثيراً، إذ كانوا قلقين من موجة الديمقراطية في الستينيات؛ لأنها أتاحت لعامة الناس المشاركة في السياسة، وهذا يشكل ضغطاً وعبئاً على الدولة، لذا كان من الأفضل تبني سياسات تعيد الناس إلى انشغالهم الطبيعية، وكانوا يرون أن هذا الدور يقوم على عاتق الكنائس والمدارس<sup>17</sup>.

### 3- إعادة تصميم النظام الاقتصادي

منذ السبعينيات أعيد تصميم النظام الاقتصادي، فلم يعد تركيزه على الخدمات وتحسين مستوى المعيشة من خلال تبني الدولة لمشاريع ذات فائدة على المدى الطويل للمجتمع، بل أصبح التركيز على مبدأ الربح هو الذي يشكل النظام الاقتصادي، وهنا لم تعد الدولة هي التي تدير هذه المشاريع بل الشركات الخاصة. ووفقاً لآدم سميث، مؤلف كتاب «ثروة الأمم» (1776)، فإن للاقتصاد الدور الأكبر في تشكيل واقع الناس، إذ أشار في كتابه إلى أن التجار وأصحاب المصانع هم من يهندس السياسات العامة التي يسير عليها المجتمع، وهم من أطلق عليهم في كتابه وصف «أسياد البشر»، ويستخدم تشومسكي نفس المصطلح وهو يشير إلى الشركات متعددة الجنسيات التي لها فروع في مختلف الدول، فمثل هذه الشركات لا تقيدها المنافع الوطنية ولا المصالح الاجتماعية، بل تقوم سياستها على المنفعة العائدة للشركة.<sup>18</sup>

<sup>17</sup> المصدر السابق.

<sup>18</sup> نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 18.

في عام 1997 عملت هذه الشركات على إعادة تقسيم النظام الداخلي الأمريكي، بحيث أدت تلك التغييرات إلى تعظيم دور المؤسسات المالية كالبنوك وشركات الاستثمار وشركات التأمين، التي كان دورها يقتصر في وقت سابق على توزيع الأصول غير المستعملة من المدخرات البنكية وضخها في نشاط اقتصادي، بحيث يستفيد منها المجتمع. البنوك كانت منظمة؛ إذ كانت البنوك الاستثمارية منفصلة عن التجارية، وقلّصت الاستثمارات المحفوفة بالمخاطر حتى لا تؤذي الاقتصاد ككل. في عام 2007، أي قبل الأزمة المالية في 2008، كانت المؤسسات المالية تملك 40٪ من أرباح الشركات، وهو ما لم يحصل من قبل في التاريخ الأمريكي. إضافة إلى ذلك كان الاقتصاد الأمريكي يقوم على الإنتاج بين 1940-1950، وكانت الولايات المتحدة الأمريكية تشكل 29٪ من الإنتاج العالمي، في حين كان دور المؤسسات المالية 11٪ فقط.

تغير هذا الوضع خلال السبعينيات بسبب تدفق رأس المال المضارب، وزادت كميته على نحو هائل، وهذا أدى إلى أن يتغير تأثيرها في الاقتصاد الأمريكي بنسبة 21٪ بحلول 2010، في حين تقلص تأثير الصناعة إلى 11٪، كل هذه التغييرات أدت إلى ظهور ما يعرف بـ “أمولة الاقتصاد”، أي الاعتماد على التلاعب المالي لبناء الاقتصاد أكثر من الاعتماد على الصناعة والأصول المالية الحقيقي، وبسبب هذا أصبحت الشركات تبحث عن السوق الأرخص لإنتاج سلعتها، وهذا أدى بدوره إلى إخراج الإنتاج من الولايات المتحدة إلى دول أخرى أثر في توازنها الاقتصادي بشكل كبير أدى إلى ظهور العجز، وخلل اجتماعي أدى إلى تفشي البطالة والفقير<sup>19</sup>.

19 نعوم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، المصدر السابق.

#### 4- نقل عبء الضرائب

تضمن الحلم الأمريكي جانباً قيمياً وجانباً واقعياً، فالجانب القيمي تمثل بتطبيق الديمقراطية وحرية التعبير، والجانب الواقعي هو تحقيق حد معقول من دولة الرفاهية، فخلال الخمسينيات والستينيات ازدهر الاقتصاد، وعد عصراً ذهبياً؛ إذ كان النمو فيه متساوياً إلى حد ما، فالنصف الأدنى من السكان تحسنت حالتهم المادية واقتربوا من النصف الأعلى، وذلك من خلال تطبيق بعض مبادئ دولة الرفاهية. عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية مركز إنتاج كان من مهامها أن تولي اهتماماً لمستهلكيها في الداخل، لكن عندما يتحول الاقتصاد إلى اقتصاد دولي (plutonomy) تتكدس الثروة في يد نسبة ضئيلة من سكان العالم بشكل متزايد، وتزداد حدة الفقر في الداخل الأمريكي.

خلال الخمسينيات والستينيات كانت الضرائب على الأثرياء مرتفعة للغاية، سواء كانت ضرائب على الشركات أو الأرباح، بشكل عام كانت الضرائب على الثروات مرتفعة، وهو ما شكل توازناً في المستوى الاقتصادي بين الناس في المجتمع، لكن في وقت لاحق أعيد تصميم الضرائب بحيث تكون منخفضة بالنسبة للأثرياء، بالمقابل ازداد العبء الضريبي على بقية السكان، وحالياً ثمة اتجاه لإبقاء الضرائب على الأجور وعلى الاستهلاك فقط، التي يخضع لها الجميع، لا على الأرباح التي يدفعها الأغنياء فقط، بحجة زيادة الاستثمار والوظائف، لكن هذا ليس صحيحاً، فالاستثمار والاستهلاك لا يمكن أن يحدث في مجتمع فقير لا يمتلك المال الكافي ليستهلك، لذا يجب أن يعطى المال الفقراء وأبناء الطبقة العاملة حتى يبقوا أحياء ويستطيعوا إنفاق مداخيلهم، وهذا بالمحصلة يزيد الإنتاج والاستثمار ويؤدي إلى

خلق وظائف<sup>20</sup>.

## 5- مهاجمة مبدأ التكافل الاجتماعي

يعد مبدأ التكافل الاجتماعي أحد المبادئ الأساسية التي يؤمن بها الفكر (اللاسلطوي) الذي يعتنقه تشومسكي، وهو يدعو إلى ضرورة تمكين المجتمع من إدارة نفسه من خلال إحياء مبادئ التكافل الاجتماعي ونشر الوعي الذي يفضي إلى إشراك تلك القواعد الاجتماعية في السياسة العامة.

لا يتفق مبدأ التكافل الاجتماعي مع مصالح الأقلية التي تعطي مصالحها الأولوية، وتتعامل مع القواعد الاجتماعية على أنها خطر، أو على أقل تقدير رعا ع يجب تسييرهم وفق مصالح وخطط الأقوى، ويرى آدم سميث في نهجه الاقتصادي أن التعاطف سمة إنسانية، لكن يمكن إخراجها من عقول الناس، وهذا يتطلب جهداً كبيراً؛ إذ إن مبادئ التكافل الاجتماعي لا تصب في مصلحة من أسماهم أسياد البشر، فالتكافل يقوم على مبدأ المساعدة وتقديم العون للآخرين، وعادة ما يكون تمويله من قطاع الضرائب للمحتاجين من طبقات المجتمع. لكن وفقاً للسياسات المتبعة في الولايات المتحدة الأمريكية في العقود الأخير فقد قُطع تمويل مصادر التأمين الاجتماعي من خلال خصخصة النظام؛ مثل تحويل المدارس والجامعات العامة إلى مدارس خاصة تعتمد في تمويلها على رسوم الدراسة والقروض التي يقدمها الطلبة، وهذا يشكل عبئاً حقيقياً على الطلبة غير الأثرياء الذين يجدون أنفسهم محاطين بالديون. في الخمسينيات كان المجتمع أكثر فقراً من الآن، لكنه تمكن من المطالبة، ومن ثم توفير تعليم مجاني وشامل، والآن المجتمع ثري ومع ذلك يدعي عدم قدرته

20 المصدر السابق.

على المطالبة بحقوق الأقل حظاً.

## 6- إدارة الأجهزة التنظيمية

من خلال النظر إلى تاريخ التنظيمات في الولايات المتحدة الأمريكية؛ كتتنظيم سكك الحديد والمؤسسات المالية، سنجد أن من أسسه هم الممولون والداعمون لتلك المشاريع، لأنهم يدركون أنه من خلال سيطرتهم على الجهات التنظيمية المشرفة عليه يستطيعون السيطرة على النشاط التنظيمي الصادر عنه. وخلال السبعينيات كان أحد أبرز الأمور التي شهدت توسعاً هائلاً هي ظهور (جماعات الضغط)؛ حيث توجه رجال الأعمال للسعي من أجل السيطرة على التشريعات؛ لأنهم كانوا قلقين من الحركات الاجتماعية التي ظهرت خلال الستينيات. ويعد الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون آخر رئيس اتبع سياسات "الاتفاق الجديد"<sup>21</sup>، فخلال ولايته كان هناك تشريعات لحماية المستهلك، وتنظيم السلامة والصحة في الأماكن العامة وحماية البيئة، وقد ساءت هذه الجهود الشركات، وسعت للتخلص من هذه التنظيمات.

خلال الخمسينيات والستينيات لم تحدث أزمات اقتصادية؛ لأن «الاتفاق الجديد» كان سارياً، ولكن ما إن تغلبت عليه جماعات الضغط حتى ظهرت الأزمات خلال السبعينيات والثمانينيات وما بعدها، وهو ما دفع الحكومة الأمريكية خلال رئاسة ريغان إلى تبني خطط وحزم إنقاذ للبنوك 1981، وتكرر الأمر خلال ولايتي

21 الصفقة الجديدة أو الاتفاق الجديد أو نيو ديل (New Deal) هي مجموعة من البرامج الاقتصادية التي أطلقت في الولايات المتحدة بين عامي 1933 و1936، وتضمنت هذه البرامج مراسيم رئاسية أو قوانين أعدها الكونغرس الأمريكي أثناء الولاية الرئاسية الأولى للرئيس فرانكلين روزفلت. جاءت تلك البرامج استجابة للكساد الكبير، وتركزت على ما يسميه المؤرخون الألفات الثلاثة وهي: «الإغاثة والإنعاش والإصلاح». وتشير تلك النقاط الثلاث إلى إغاثة العاطلين والفقراء، وإنعاش الاقتصاد إلى مستوياته الطبيعية، وإصلاح النظام المالي لمنع حدوث الكساد مرة أخرى.



جورش بوش وباراك أوباما. وفي كل مرة كان يطلب من دافعي الضرائب أن يتحملوا إنقاذ الكيانات الكبيرة التي تسببت في حدوث الأزمات بسبب مضارباتها عالية المخاطر. يؤكد تشومسكي أن الأثرياء لا يريدون نظاماً رأسمالياً، لأنه وفقاً للنظام الرأسمالي يتم الإطاحة بالمؤسسات المالية التي تدخل مشاريع ذات مخاطر عالية وتخسر، لكنهم يفضلون نظام «أنقذه قبل أن ينهار»، وهو نظام يقوم على مساندة الحكومة لهم من خلال الضرائب مقابل تبادل المصالح والمنافع الاقتصادية بتمويل الانتخابات، ومن ثم التحكم في السياسات الاقتصادية وأنظمة الضرائب.

## 7- هندسة الانتخابات

ليس هناك فرق كبير بين الحزب الجمهوري والديمقراطي، فكلاهما- وإن اختلفت القواعد الانتخابية التي يستهدفانها- يسيران على نفس المنوال في بناء علاقات وطيدة مع أصحاب الشركات الذين سيمولون حملاتهم الانتخابية ويدعمونهم للفوز السياسي من خلال المؤسسات السياسية. وتعد هذه المؤسسات حياً قانونية وضعتها الدولة قد تقوم بأدوار جيدة أو سيئة بناءً على توظيفها. ومنذ قرن حصلت هذه المؤسسات على شخصيات اعتبارية لها حقوق أكثر من الأشخاص العاديين، إذ إن نشاطها الدولي مكنها من الحصول على نفوذ عالٍ وحقوق لا يحصل عليها العمال اللاجئون الذين ليس لديهم أوراق ثبوتية ويُستغلون بطريقة بشعة.

ومنذ عام 1976 تم اعتبار المال أحد أشكال التعبير، وفي عام 2009-2010 في قضية (citizen united) تم اعتبار الحق في حرية التعبير بالنسبة إلى الشخصيات الاعتبارية للمؤسسات هو قدرتها على إنفاق الأموال، هذا يعني أن الشركات التي كانت تشتري

الانتخابات لها الحق في أن تفعل ما تريد من دون حسيب أو رقيب، وهذا يشكل أساساً صريحاً لانتهاك الديمقراطية وأسسها.<sup>22</sup>

## 8- اعتماد مبدأ السيطرة على الرعاع

يشير تشومسكي في كثير من كتاباته إلى أهمية القوى العاملة؛ لكونها الضامن الأساسي للحفاظ على حقوق المجتمع في وجه طغيان الشركات، إذ إنها تعد قوى قادرة على نشر ثقافة الديمقراطية كما أنها توفر جداراً لحماية حقوق العمال بشكل خاص والحقوق العامة بشكل عام.

وفي الواقع الولايات المتحدة الأمريكية لديها تاريخ طويل من الصراع والعنف من أجل الحركات العمالية مقارنة بالمجتمعات الأخرى، وخلال العشرينيات بلغت القوى العمالية أوجها في الولايات المتحدة الأمريكية، لكنها سُحقت، وخلال الثلاثينيات أعادت ترتيب صفوفها مستفيدة من الدعم الذي أبداه الرئيس الأمريكي حينها فرانكلين روزفلت. ثم تغير الوضع بعد الحرب العالمية الثانية؛ إذ اشتدت وطأة الاحتجاجات العمالية بعد قانون (تافت- هارلي)<sup>23</sup>، الذي هدف إلى استعادة العدالة والمساواة لعلاقات الأعمال والإدارة ومن ثم أُسْتُغْلَّتْ المكارثية<sup>24</sup> لتشدد الدعاية المؤسسية هجمتها ضد النقابات، وارتفعت أكثر خلال ولاية ريغان، الذي صرح لعالم المال والأعمال بأن من حقهم مخالفة القانون بكسر

<sup>22</sup> نعوم تشومسكي، وسي جي بوليكرونيو، العالم إلى أين؟، دار الساقي، بيروت، 2018، ص 197.

<sup>23</sup> قانون علاقات إدارة العمل لعام 1947، المعروف باسم قانون تافت-هارتلي، هو قانون فيدرالي أمريكي يقيد أنشطة وسلطة النقابات العمالية. سنّه الكونجرس الأمريكي، وأصبح قانوناً في 23 يونيو/حزيران 1947.

<sup>24</sup> المكارثية: هو سلوك يقوم بتوجيه الاتهامات بالتآمر والخيانة دون الاهتمام بالأدلة. ينسب هذا الاتجاه إلى عضو مجلس الشيوخ الأمريكي اسمه جوزيف مكارثي، الذي كان رئيساً لإحدى اللجان الفرعية بالجلس، وأتم عدداً من موظفي الحكومة، وبخاصة وزارة الخارجية، وقاد إلى حبس بعضهم بتهمة أنهم شيوعيون يعملون لمصلحة الاتحاد السوفييتي، وقد تبين فيما بعد أن معظم اتهاماته كانت على غير أساس. وأصدر المجلس في عام 1954 قراراً بتوجيه اللوم له. ويستخدم هذا المصطلح للتعبير عن الإرهاب الثقافي الموجه ضد المثقفين.

الجهود التنظيمية والإضرابات من خلال طرد العمال من أعمالهم إذا استمروا بالإضراب، واستمر هذا الوضع خلال الستينيات، وازدادت شدته خلال ولاية جورج بوش الأب.

حالياً أقل من 7٪ من العمال في القطاع الخاص لديهم نقابات، مقارنةً بـ 25٪ خلال السبعينيات، والسبب هو تدني الوعي. ففي القرن التاسع عشر كان الناس يرون العمل المأجور «عبودية مؤقتة» تستلزم الحفاظ على حقوق العاملين خلال عملهم، وكان هذا الوعي الطبقي هو ما يشكل وعي الجماهير، وكان من مصلحة أصحاب الأعمال أن يخرجوا هذه الأفكار من عقول الناس<sup>25</sup>.

لكن منذ 2011 بدأ الوعي الجماهيري يستعيد عافيته إلى حد ما، والدليل هو انتشار وشعبية حركة «احتلوا» التي أخذت مكانها في الاحتجاج على مدار أعوام، في اعتراض صريح على الانتهاكات الجسيمة التي ترتكبها المؤسسات المالية، والتي تسببت في اتساع الفجوة الطبقيّة في المجتمع الأمريكي على مدار عقود. وميزة هذه الحركة أنها تمكنت من خلق مواقف استثنائية وغير متوقعة على مستوى الجماهير، فعلى الرغم من التأثير القوي للمؤسسات الدعائية التي تعزز الفردانية لدى المجتمع الأمريكي، عملت هذه الحركة على إظهار روح الجماعة والاهتمام بالمصلحة العامة أكثر من المصلحة الفردية، كما تمكنت من إنشاء حلقات اتصال في أكثر من مكان، وإن أمكن تعزيزها وتوسيعها فستتمكن من قيادة الجهود الملتزمة لقضايا المجتمع في مسار أكثر إنسانية<sup>26</sup>.

25 نعوم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، مصدر السابق.

26 نعوم تشومسكي، احتلوا: تأملات في الحرب الطبقيّة والتمرد والتضامن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2014، ص 74.

## 9- اعتماد مبدأ صناعة الموافقة والرضا

تنتشر ظاهرة فاعلية المؤسسات الدعائية والإعلانية في أكثر المجتمعات ديمقراطية، كالولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة، والسبب هو أنه لم يمكن السيطرة على عقول الناس بالقوة لأنهم اكتسبوا الكثير من خلال العملية المنظمة، ووصول الأحزاب العمالية إلى البرلمان، والاعتراف بحقوق الفئات المهمشة في المجتمع كحقوق المرأة والأقليات، وواحد من أفضل الطرق للسيطرة عليهم - كما يقول العالم الاقتصادي ثورستين فيبيلين - هو تسطيح أفكارهم من خلال اختلاق احتياجاتهم وجعلها جوهر الحياة، وبهذا يتحول الناس إلى مجرد مستهلكين. كذلك يشير والتر ليرمان، وهو أحد أهم المفكرين في القرن العشرين، في كتاباته إلى «ضرورة وضع حد للجمهور» حتى يتسنى للمسؤولين اتخاذ القرارات دون أي تدخل من القطيع الحائر، أي يجب أن يبقى الناس متفرجين لا مشاركين.

في عالم التسويق يشار إلى أن الناس يختارون بطريقة عقلانية، لكن في الواقع يختار الناس بناءً على تأثير المؤسسات الدعائية والإعلانية، وهذا ما يحدث أيضاً في الانتخابات، إذ تسوق تلك الوسائل المرشحين بناءً على أسس تبادل المصالح الاقتصادية والسياسية بين الأحزاب السياسية والمؤسسات المالية لا بناءً على كفاءة المرشح<sup>27</sup>.

في كتابه (صناعة الموافقة: الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام) يشير تشومسكي إلى أنه من المفترض أن تراقب وسائل الإعلام السلطة السياسية وتمد الجمهور بالمعلومات التي تسهم في بناء وعيه بما يسهم في تحسين قدرته على المشاركة بشكل أكبر في

27 نعوم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، مصدر سابق.

العملية السياسية، لكن في الحقيقة تعمل هذه المؤسسات على خلق قبول وطاعة لدى المواطنين، وتخبرهم بما تريده السلطة لتضمن طاعتهم، أي إن هذه المؤسسات هي عبارة عن آلات للبروباغندا<sup>28</sup> التي تعمل على مسرح كبير<sup>29</sup>.

## 10- اعتماد مبدأ تهميش المجتمع

أعد عالم السياسة مارتن غلينر دراسة عن «العلاقة بين الاتجاهات العامة والسياسة العامة»، وخلصت الدراسة إلى أن 7٪ من السكان ليس لديهم أي سبل للتأثير في السياسة، وهذا يخلق شعباً غاضباً ومحبطاً ويكره المؤسسات؛ شعباً لا يتصرف على نحو بناء لمحاولة الرد على التحديات التي تواجهه، وبناء عليه فهناك تعبئة شعبية ونشاط عام ولكن في اتجاهات مدمرة للذات، هذه التحركات الشعبية تتخذ شكلاً من الغضب غير المركز، يهاجم بعضها بعضاً، وتصوب على الأهداف الضعيفة، وهذا يؤدي - بمرور الوقت - إلى تآكل العلاقات الاجتماعية، وهذا هو الهدف؛ أن يكره الناس بعضهم بعضاً ولا يفكروا إلا بمصلحتهم الفردية.

إذا قام المجتمع على أساس سيطرة الثروات الخاصة فسيعكس القيم التي يعكسها الواقع، قيم الطمع والرغبة في تعظيم المكاسب الشخصية على حساب الآخرين، وأي مجتمع يقوم على هذه المبادئ هو مجتمع قبيح، يمكنه البقاء على نطاق محلي، لكن على مستوى عالمي هذا المجتمع مصيره الدمار<sup>30</sup>.

<sup>28</sup> البروباغندا/الدعاية: كلمة تعني نشر المعلومات بطريقة موجهة أحادية المنظور، وتوجيه مجموعة مركزة من الرسائل بهدف التأثير في آراء أكبر عدد من الأشخاص أو سلوكهم. وهي مضادة للموضوعية في تقديم المعلومات.

<sup>29</sup> سمير شناوي، صناعة الموافقة.. الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، موقع الحطة، 10 مايو/أيار 2018، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020. <https://cutt.ly/xfWmHZg>

<sup>30</sup> نعوم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، مصدر سابق.

## مسار النقد الخارجي

الجانب الآخر من الكتابات النقدية لتشومسكي تركز على جملة من القضايا السياسية والأمنية والبيئية، وعلى رأسها السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية، إذ يعرج في كتاباته النقدية على مختلف الملفات المرتبطة بالسياسة الخارجية لبلده، كما يولي اهتماماً بالقضايا الأمنية ذات البعد العالمي؛ كالقضية البيئية والتهديد النووي، وبشكل عام يمكن تقسيم مسارات الكتابة النقدية لتشومسكي كالتالي:

### السياسة الخارجية الأمريكية

يركز تشومسكي في نقده للسياسة الخارجية الأمريكية على بعدين أساسيين، البعد الداخلي الذي يشكل جوهرها كالمبادئ التي تقوم عليها، والبعد الآخر هو النتائج التي تترتب على تلك المبادئ التي تحرك السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ تركز السياسة الخارجية الأمريكية على جملة من المحددات التي ترسخت على أرضية الواقع عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية. فقد أدرك ساسة واشنطن منذ بداية الحرب العالمية الثانية 1939 أن القوى المتصارعة سينتهي بها المطاف إلى قوى مثخنة بفواتير الحرب، وهو ما يسهل على واشنطن أن تكون قوة متفردة مهيمنة، ولذا أُعدَّت خطة لمرحلة ما بعد الحرب، تضمنت تقسيم العالم إلى منطقة كبرى يجب أن تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية لتضمن نفوذها وهيمنتها، وتضمنت هذه المنطقة الكبرى: نصف الكرة الشمالي، الذي بدوره اشتمل على دول أوروبا الغربية، والسيطرة هنا ليس بالضرورة أن تكون مباشرة، بل قد تأخذ صبغة تعاونية، وإن لم تكن وفقاً لمصالح الولايات المتحدة الأمريكية فيمكن استخدام

البعث العسكري. <sup>31</sup> الذي يتمثل بقوات حفظ شمال الأطلسي (الناو)، الذي تشكل في بداية الأمر لحماية أمن الدول الأوروبية من التهديد الروسي، لكن بعد انهيار الاتحاد السوفيتي أبقى على هذه المؤسسة الأمنية بهدف احتواء أوروبا ضمن حلف عسكري تديره الولايات المتحدة الأمريكية <sup>32</sup>.

المنطقة الثانية هي منطقة الشرق الأوسط، التي وصفها أدولف بيرل، مستشار الرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت، «بأن السيطرة على مواردها تعني السيطرة على العالم» <sup>33</sup>، والتي قال عنها الرئيس الأمريكي إيزنهاور: ”إحدى أعظم الجوائز المادية في تاريخ العالم«، إذ إنها تحتوي على أكبر احتياطي نفط في العالم الذي يعده عرابو السياسة الخارجية الأمريكية عصب القوة التي بإمكانها أن تمكن واشنطن من السيطرة على العالم <sup>34</sup>.

المنطقة الثالثة التي حوتها خطة المنطقة الكبرى هي الإمبراطورية البريطانية وأماكن نفوذها.

ويؤكد تشومسكي أن السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية تستند بشكل أساسي إلى الأسس التي تشكل عقيدة المنطقة الكبرى، والتي تتضمن النقاط التالية:

### 1- التدخل العسكري للولايات المتحدة الأمريكية وقتما تشاء

وهي تبرره بالحفاظ على مصالحها، إذ تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية ذريعة الحفاظ على «الاستقرار العالمي»- الذي تسيطر

31 نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، دار الكتاب العربي، بيروت، 2017، ص 61.

32 نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 232.

33 نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 63.

34 نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 180.

هي على معظم مؤسساته- من أجل تبرير تدخلاتها العسكرية تارة بدعوى نشر الديمقراطية، كما حدث في حرب العراق، وتارة من أجل محاربة الإرهاب، كما حدث في أفغانستان. وبشكل عام تستند الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجموعة من الحجج الجاهزة لتسويق تدخلاتها، وعلى الرغم من اعتراض بعض الدول- كما حدث في مؤخراً، عندما اعترضت بعض الدول كالهند على التدخل الغربي في ليبيا- تفرض قراراتها مستعينة بتفوقها العسكري على مستوى عالمي.<sup>35</sup>

وعلى الرغم من وجود انتهاكات إنسانية جسيمة تطلبت تدخلاً دولياً؛ كغزو الهند لباكستان الشرقية 1971، وغزو فيتنام لكمبوديا عام 1978، لم تتدخل الولايات المتحدة الأمريكية أو القوى الغربية ضمن مبدأ "التدخل الإنساني"؛ لأن كلتا الحالتين تعانين من فكرة الوكالة بالخطأ؛ أي إنه لا مصلحة لها بالتدخل في هذه الأماكن، لذا لا يتم تبريرها<sup>36</sup>.

## 2- حق الوصول إلى موارد الطاقة والأسواق الرئيسية

إذ تحتفظ الولايات المتحدة الأمريكية بحق استخدام القوة من طرف واحد إذا لزم الأمر من أجل الحفاظ على هيمنتها الاقتصادية وقدرتها على الوصول إلى مختلف أسواق العالم، وهناك عدة أدلة وشواهد من تاريخها تؤكد ذلك، فالدول التي وقفت في وجه طغيانها الاقتصادي تدمرها بالعقوبات أو بالتدخل المباشر أو بفرض القوانين المجحفة، كما حدث مع كثير من دول أمريكا اللاتينية.

وما يحدث في الدول العربية في الوقت الراهن- خصوصاً ما

35 نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 63.

36 نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 153.



حدث في العراق - يؤكد هذه الحقيقة، إذ استلبت حق الشعب العراقي في تقرير مصيره حتى بعد الغزو، والسبب الرئيسي هو الرغبة الأمريكية في الاستيلاء على نفط العراق.

### 3- ضرورة التفوق في الجانب العسكري

إذ تعد الولايات المتحدة الأمريكية على رأس القوى العظمى عسكرياً من حيث التفوق العددي والتكنولوجي والعسكري، إذ تنتشر قواعدهما العسكرية في مختلف دول العالم، وتسيطر على إحدى أقوى المؤسسات الأمنية على مستوى العالم (الناتو)، كما أنها من خلال قواعدهما العسكرية تسيطر على مواقع النفط في الشرق الأوسط، وتحافظ على مصالحها الأمنية والاقتصادية في مختلف بقاع العالم.

ونظراً لتفوقها في الجانب العسكري بشكل أساسي تستخدم الولايات المتحدة الأمريكية منطق القوة في فرض قراراتها للمحافظة على مصالحها ولو بالقوة، إذ عمدت إلى استخدام هذه القوة في تدخلاتها في فيتنام وفي أفغانستان، فبمجرد أن يتراءى لها الخطر أو الرغبة في تحقيق مصالحها تستخدم كل أدواتها الناعمة والخشنة لتحقيق أهدافها.

### 4- صناعة آراء الناس من خلال استخدام الإعلام والقوى الناعمة

فمنذ قرن تغيرت وسائل وأساليب الإقناع، خصوصاً في المجتمعات الديمقراطية، إذ أصبح من الصعب ضبط السكان بالقوة بسبب تأثير الحركات الحقوقية بشكل عام والنقابات العمالية بشكل خاص، كما أن توسع الانتخابات، وتمكن أفراد من الطبقة الوسطى من الوصول إلى البرلمانات، دفع القوى المسيطرة ذات المصلحة - وفقاً لتشومسكي - إلى التفكير بضرورة اللجوء إلى

وسيلة أخرى تمكنهم من التحكم بالمواقف والآراء، لذا لجأت إلى شركات العلاقات العامة، إلى جانب تبني فكرة ضرورة تجنيد مفكرين لتطوير دعاية فعالة لفرضها على «جماعة الرعا»<sup>37</sup>.

ومثال كبير على ذلك كيف أمكن تزييف وعي الرأي العام في الداخل الأمريكي من أجل تبرير غزو العراق، واستخدمت نفس الوسيلة في تشويه الحقائق فيما يتعلق بالصراع الفلسطيني مع الكيان الصهيوني.

### 5- قاعدة «تغيير الأسماء وبقاء الأنظمة»

من القواعد الأساسية التي تسير عليها وزارة الخارجية الأمريكية قاعدة الحفاظ على حلفائها الذين يحافظون على مصالحها، لذا من مصلحتها أن تبقى الأوضاع كما هي عليها، وإن حدثت اضطرابات أو احتجاجات فإنها عادة ما تلجأ إلى نفس الأسلوب، قاعدة «ادعمه ما دام ذلك ممكناً»، وهذا هو الأسلوب الذي استخدمته الولايات المتحدة الأمريكية في تعاملها مع ديكتاتوريات منطقة الشرق الأوسط. وما إن يصبح من المستحيل دعم الدكتاتور الصديق، تنتقل إلى الخطوة الثانية وهي "انقلاب عسكري" يعمل على تغيير الأسماء مع الحفاظ على الأوضاع كما هي، تماماً كما حدث في السيناريو المصري بعد الربيع العربي، ويصاحب ذلك الانقلاب جملة من الأنشطة الدعائية والإعلامية التي تؤكد ضرورة الاستقرار من أجل استجلاب الديمقراطية، وضرورة الحفاظ على حقوق الإنسان... إلخ.

ويتضح ذلك أكثر في السلوك العام للولايات المتحدة الأمريكية تجاه دول الربيع الأخرى، فهي لا تفضل وصول أطراف قد تتصادم

37 نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 185-186.

معها في مسألة سيطرتها على موارد الطاقة، فبعد شيطنة الحركات اليسارية والقومية التي تصادمت مسبقاً مع المصالح الأمريكية، تشيطن الحركات الإسلامية بدعوى مختلفة، والسبب الرئيسي لا يتعلق بخلفيتها الرديكالية كما يُشاع، بل هو التخوف من تأثيراتها على السياسات والشعوب بشكل قد يفضي إلى تهديد المصالح الاستراتيجية للولايات المتحدة الأمريكية في دول هذه المنطقة.

### 6- عقيدة «مروان معشر»

مروان معشر هو دبلوماسي سابق عمل في الأردن، وهو أحد مديري برنامج مؤسسة كارنيغي في الشرق الأوسط.

يصف معشر وجهة النظر الأمريكية والغربية تجاه ما يحدث من قضايا وحراك في المنطقة بالقول: تتعامل العقلية الأمريكية مع ما يحدث في المنطقة بقاعدة «ليس هنالك شيء خاطئ، كل شيء تحت السيطرة»، ومن ثم يسوِّغ عدم دعم المطالبات بالإصلاح بأنها مطالب مبالغ فيها، وهذا ما يؤكده تشومسكي؛ أي تهميش وجهة النظر المجتمعية للشعوب العربية، في حين تعمل المؤسسات الإعلامية الأمريكية على تضخيم الأفكار والرؤى التي تتوافق مع المصالح الغربية، على غرار الترويج لفكرة أن إيران هي العدو الأساسي في المنطقة، وأنها تهدد سلم دول المنطقة، في حين تمثل وجهة النظر هذه رأي الدكتاتوريات التي تتوافق مع مصالح الغرب، لكن هناك كثير من استطلاعات الرأي التي تؤكد أن وجهة نظر شعوب المنطقة تختلف كثيراً عما ينقل عنها، إذ يعتقد كثير من سكان منطقة الشرق الأوسط بأن بامتلاك إيران سلاحاً نووياً فإن نوعاً من توازن الرعب والقوى سيحل على المنطقة، لذا هم يرجحون أن تتمكن إيران من امتلاك السلاح النووي على غرار دول أخرى في المنطقة

كالهند وباكستان والكيان الإسرائيلي<sup>38</sup>.

### 7- معيار جودة العلاقات التبعية المطلقة

تعتمد الولايات المتحدة الأمريكية على أصدقائها في الداخل؛ الدكتاتوريات والجيوش العسكرية، من أجل الحفاظ على مصالحها، ولذا يؤكد تشومسكي أنها عادة ما تكيل بمكيازين، فالدول الصديقة أي تلك التي تبيع ثروات أوطانها وشعوبها بثمن بخس للولايات المتحدة تثني عليها، وتغدق عليها المساعدات العسكرية، أما تلك التي تقف في وجه أطماعها فتعدها دولاً مارقة تهدد السلم العالمي، على غرار كوبا أو تشيلي، وتعدُّ الشخصيات الدكتاتورية التي تنفذ خطط الولايات المتحدة الأمريكية شخصيات مؤثرة، وبالنسبة إلى تلك التي تدافع عن حقوق أوطانها تعدها شخصيات إرهابية، على غرار ما حدث مع نيلسون مانديلا الذي قاد حركة المطالبة بالحقوق في جنوب إفريقيا ضد دولة (الأبارتيد)، وكما صنّف (حزب المؤتمر الإفريقي) الذي ينتمي إليه مانديلا منظمة إرهابية<sup>39</sup>.

ونظراً لاعتماد السياسة الخارجية الأمريكية على هذه المبادئ فإن قاعدة استخدام القوة هي المبدأ الرئيسي الذي يشكل طريقة تفكيرها، كما أن قولبة المفاهيم وفقاً لرؤيتها تعد سمة أساسية في تلك السياسات، فمفهوم "الاستقرار" لا يعني استقرار الدول التي لا تعلن تبعيتها، بل استقرار النظام الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة الأمريكية، ولذا تُستخدم تسميات مختلفة لتبرير اعتداءاتها على الدول الممانعة لسيطرتها.

38 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 63.

39 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 188.

## الأمن والتفوق العسكري

يشير تشومسكي إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية حرصت على تمتين تفوقها العسكري بشكل كبير حتى تكون قوة رادعة لأي دولة تحاول أن تنافسها في هيمنتها الدولية، ونظراً للتقسيم الذي اعتمده - المنطقة الكبرى - بعد الحرب العالمية الثانية، تستند الولايات المتحدة الأمريكية إلى قاعدة توسع القواعد العسكرية من أجل الحفاظ على الأمن، وأي دولة ترتفع نسبة إنفاقها العسكري أو تفوقها الاقتصادي - على غرار الصين - تمثل خطراً حقيقياً يقض مضجع عرّابي السياسة الأمريكية.

وحتى تمتن سيطرتها الأمنية اعتمدت الولايات المتحدة الأمريكية على المؤسسات الاقتصادية والأمنية التي تأسست عقب الحرب العالمية الثانية، على غرار مؤسستي بريتون وودو (البنك المركزي، وصندوق النقد الدولي)، والناو، الذي أبقى عليه على الرغم من انتفاء سبب إنشائه؛ وهو تهديد الاتحاد السوفيتي، إذ يقوم الناو - في حقيقة الأمر - بمهمة مزدوجة؛ الأولى تتمثل في احتواء الدول الغربية ضمن مؤسسة أمنية تسيطر عليها الولايات المتحدة الأمريكية، والهدف الثاني هو مواجهة خطر «التطور التكنولوجي»<sup>40</sup>.

كما أن سياسة «التوسع هو طريق الأمن» هي القاعدة الأمنية التي تعتمد عليها الولايات المتحدة الأمريكية منذ عصر الرئيس جون كوينسي آدمز، هذه السيطرة العسكرية تفرض سمة خاصة على النظام الدولي، سمة أشبه بالمافيا، حيث تتحدد قواعد وخطوط لا ينبغي تجاوزها، فكل شيء مرتبط ببعضه ببعض؛ مثل «نظرية الدومينو»؛ فأبسط خلل يمكن أن يفتت النظام

40 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 78.

بأكمله، ولذا يجب الحفاظ على هذا النظام بأي ثمن ولو باستخدام القوة<sup>41</sup>.

يرى تشومسكي أن الإنفاق العسكري السخي الذي تعتمد عليه الولايات المتحدة الأمريكية لا يصب في مصلحة أحد، لا الولايات المتحدة الأمريكية ولا الشعوب التي تدعي أنها تساعدنا، بل على العكس؛ يعمل هذا التفوق العسكري المبالغ فيه على فتح شهية الولايات المتحدة الأمريكية للمزيد من الظلم والطغيان الذي لا يستطيع أن يوقفه أحد بسبب هيمنتها العسكرية، إذ إن كثيراً من الأعمال العسكرية التي قامت بها على مدار عقود لم يكن لها أي مردود نافع على تلك الشعوب، بل إن جميع تلك التدخلات أسفرت عن انتهاكات ومظالم جمّة تصنف على أنها جرائم حرب، خصوصاً ما حدث في السودان والعراق وأفغانستان، ومن قبلها فيتنام وتشيلي<sup>42</sup>.

يؤكد تشومسكي في كتاباته أن الهاجس الأمني يعد أحد المرتكزات الأساسية التي تشكل السياسة الخارجية والعامّة للولايات المتحدة الأمريكية، وهذا يتضح من خلال مراقبة إعطاء الأولوية للاستثمار العسكري على إصلاح الأوضاع الداخلية، كالتعليم وقطاع الصحة، وكان لهذا الأمر ما يبرره خلال التنافس بينها وبين الاتحاد السوفييتي في حقبة الحرب الباردة، وهو ما شرعن لها استخدام كل الوسائل في السيطرة على المنافذ والمصادر التي تمدها بالقوة، ووصل الأمر بها إلى أن تحوّل هاجس الأمن من التهديدات الخارجية إلى هاجس حماية السلطة السياسية من

41 نعيم تشومسكي، صناعة المستقبل: الاحتلال، التدخلات، الإمبراطورية والمقاومة، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 2014، ص 211.

42 ديفيد بارساميان، نعيم تشومسكي، الدعاية والرأي العام: أحاديث مع تشومسكي، تعريب إبراهيم يحيى الشهابي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2004، ص 66.

انتقادات أبناء شعبها، وبحيث صار السؤال الحقيقي الذي يتغافل عن إجابته: ماذا بشأن أمن السكان؟ إذ تُهمَل قضايا أكثر أهمية مثل الاحتباس الحراري والتهديد النووي<sup>43</sup>.

## الهيمنة وفيروس الاستقلال

تمكنت الولايات المتحدة الأمريكية من إحكام سيطرتها وفرض هيمنتها على مستوى العالم بعد الحرب العالمية الثانية مستفيدة من الفراغ الدولي الذي حدث بسبب الإنهاك الذي أصاب القوى العظمى من جهة، وبسبب مبادراتها بفرض نظام رأسمالي عالمي تمكن من استقطاب كثير من الدول بسبب المزايا الاقتصادية التي يوفرها للدول المنظمة للمؤسسات الاقتصادية التي برزت في حقبة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

لم تتمكن الولايات المتحدة الأمريكية من إحكام قبضتها على الجانب الاقتصادي من خلال إدارة المؤسسات الاقتصادية ذات البعد الدولي إلا بعد أن تبنت حزمة من الإجراءات الأمنية والعسكرية التي تمكنها - ولو بالقوة - من السيطرة على الموارد التي تقع في حوزة غيرها، تُستَـمَال هذه الدول بالمزايا التي تقدمها مؤسسات بريتون وودز، وبموجب الاتفاقات - التي عادة ما توقعها النخبة المستفيدة - تُحَكِّم الولايات المتحدة الأمريكية قبضتها على تلك الدول، وإن حدث أن تمردت إحداها وحاولت أن تعيد رسم مسارها بما يعود لها - حقيقة - بالنفع الاقتصادي والأمني، تستخدم حزمة أخرى من الإجراءات، قد تتمثل في استهدافها مباشرة بالغزو، كما حدث في قضية غزو خليج الخنازير<sup>44</sup> أو حرب فيتنام، أو إنهاكها بالحصار أو العقوبات

43 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 206.

44 عملية غزو خليج الخنازير: هي محاولة فاشلة من جانب القوات التي دربتها وكالة المخابرات المركزية من

الاقتصادية أو الحركات التخريبية والانقلابات العسكرية، وكل تلك الإجراءات- كما يشير تشومسكي- تدعي أنها تسعى لاستقرار النظام العالمي، الذي يتضح في نهاية المطاف أنه استقرار الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ولو على حساب غيرها من الدول.

بعد الأربعينيات استقلت الصين، وقد سمي ذلك حينها "خسارة الصين"، وهي منطقة استراتيجية ضمن المنطقة الكبرى التي سعت الولايات المتحدة الأمريكية- وفق عقيدة مونرو- إلى السيطرة عليها، وهذا مثل خطراً على المصالح الأمريكية، وفي عام 1950 تطورت المخاوف من فقدان جنوب شرق آسيا، وهذا قاد إلى شن الولايات المتحدة الأمريكية حرب الهند الصينية، التي تعد أسوأ الأعمال الوحشية بعد الحرب العالمية الثانية، والتي أسفرت عن دمار أربع بلدان، وكان الهدف هو منع انتشار «فيروس الاستقلال»، حسب تعبير الرئيس الأمريكي هنري كسنجر في تبريره لاستهداف تشيلي التي سعت للاستقلال فأسقطت حكومتها البرلمانية، ودُعم انقلاب عسكري يحافظ على المصالح الأمريكية هناك<sup>45</sup>.

وعام 1965 حدثت مجزرة عظيمة خلال انقلاب "سوهارتو" في إندونيسيا، قوبلت بالتغافل، واعتبار فترته ومضة مشرقة لأنها فتحت البلاد للاستثمار الأجنبي.

من جانب آخر شنت الولايات المتحدة الأمريكية حرباً ضروساً على «فيتنام المستقلة»، فقد خشيت من نجاح تجربة استقلالها وتطورها فتكون نموذجاً لدول المنطقة، ولذا كان يجب وقف انتشار «فيروس الاستقلال» حتى لا تفقد الولايات المتحدة

الكوبيين المنفيين لغزو جنوب كوبا وقلب النظام على فيدل كاسترو في 15-16 أبريل/نيسان 1961.

45 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 94.



الأمريكية مصالحها في منطقة شرق آسيا.

تكرر نفس السيناريو في دول أخرى، حيث عملت الولايات المتحدة الأمريكية على دعم انقلابات ودكتاتوريات تحافظ على مصالحها في تلك الدول، وهذا ما حدث عندما دعمت سوموزا في نيكارغوا، ودوفالير في هايتي، وماركوس في الفلبين، وشون في كوريا الجنوبية، وموبوتر في الكونغو<sup>46</sup>.

وإلى جانب التخوفات من فقدان دول شرق آسيا جاءت تحركات دول أمريكا اللاتينية- التي تعد الساحة الخلفية للولايات المتحدة الأمريكية- لترفع منسوب الهاجس الأمني، إذ سعت دول أمريكا اللاتينية خلال العقود الأخيرة إلى إشراك الناس في السياسة، وتبنت حزمة من الإجراءات التي تعمل على تحقيق التكامل فيما بينها، ومن ثم كانت خطوة ممهدة للاستقلال الاقتصادي من ربق الولايات المتحدة الأمريكية، ومثال على ذلك النموذج الكوبي؛ إذ حاولت كوبا أن تحرر نفسها في عام 1959، فسعت إدارة دوايت إيزنهاور إلى أن تسقط الحكومة، وباشرت بالعقوبات الاقتصادية؛ كحظر التجارة وشحن البضائع، كل ذلك من أجل إزالة سحر فيدل كاسترو، وحتى لا تتمكن من أن تكون نموذجاً يهدد عقيدة مونرو التي تتبعها الولايات المتحدة الأمريكية، الذي أسس حق واشنطن في الهمينة على نصف الكرة الأرضية<sup>47</sup>.

استمرت محاولات الولايات المتحدة الأمريكية- خلال حكم جون كينيدي- لإفشال تجربة استقلال كوبا من خلال العقوبات الاقتصادية، وعندما لم يفلح الأمر استهدفت بعمليات تخريبية في 1961، ثم ظهرت محاولة أخيرة لغزوها في خليج الخنازير في 26

46 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 54-56.

47 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 190.

أكتوبر/تشرين الأول 1962، وهو ما استدعى تدخل روسيا على الخط فيما يعرف بأزمة الصواريخ الكوبية<sup>48</sup>، وكل هذه الإجراءات كانت محاولة مستميتة لإفشال النموذج الكوبي حتى لا تخسر الولايات المتحدة الأمريكية حضورها في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية<sup>49</sup>.

### قضايا الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية

من المتفق عليه أن السياسة الخارجية الأمريكية تدور حول ثلاث قضايا أساسية في منطقة الشرق الأوسط: أمن المنطقة وأسواق النفط، والتهديد الإيراني، إضافة إلى قضية الصراع العربي الفلسطيني- الإسرائيلي. وحتى تتضح الصورة أكثر يفند تشومسكي في كتاباته أبعاد هذه القضايا ويربطها بالتوجه العام للولايات المتحدة الأمريكية وتصرفاتها تجاه قضايا الشرق الأوسط، ومن ثم يمكن فهم مغزى التحركات الأمريكية في هذه المنطقة.

بادئ ذي بدء تعد منطقة الشرق الأوسط هي المنطقة الأهم من المنطقة الكبرى التي تشكل عقيدة السياسة الخارجية الأمريكية، فنفس هذه المنطقة «مصدر مذهب للقدرة الاستراتيجية»، كما أنه «أحد أعظم الجوائز المادية في تاريخ العالم»، وفقاً للرئيس الأمريكي دوايت دي إيزنهاور، و«السيطرة عليه تعني السيطرة على العالم».

وفقاً لهذه المحددات التي تشكل الرؤية الأمريكية لأهمية المنطقة يمكن فهم مغزى دعمها للدكتاتوريات، وسعيها الدؤوب للوقوف

<sup>48</sup> هي مواجهة ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي المتحالف مع كوبا في أكتوبر/تشرين الأول 1962 ضمن أحداث الحرب الباردة. وتقرن أزمة الصواريخ الكوبية بحصار برلين؛ بصفتها واحدة من أشد المواجهات خلال الحرب الباردة، وتعد هذه الأزمة أقرب أزمة كادت تؤدي إلى قيام الحرب النووية.

<sup>49</sup> نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 145.

في وجه الثورات ولمنع تحقق تجربة ديمقراطية حقيقية في المنطقة.

تدرك الولايات المتحدة الأمريكية، منذ عام 1958، أن شعوب المنطقة تنبذها، فوفقاً لإدارة الرئيس الأمريكي إيزنهاور هناك «حملة كره ضدنا» في العالم العربي، وذلك وفقاً لتحليل مجلس الأمن القومي الأمريكي الذي أشار إلى أن الشعوب ترسخت لديها فكرة مفادها أن الولايات المتحدة الأمريكية تدعم الدكتاتوريات وتمنع قيام الديمقراطيات التي تهدد مصالحها في المنطقة، ولذا فإن التعامل مع هذه الشعوب يكون وفقاً لمبدأ مروان معشر، أي تهميش رأي هذه الشعوب ما دامت الدكتاتوريات مسيطرة عليها بالقوة، ويجري تسويق رأي الدكتاتوريات حيال قضايا المنطقة، كالتهديد الإيراني والقضية الفلسطينية، وفقاً لآراء الدكتاتوريات لا لآراء الشعوب<sup>50</sup>.

يؤكد تشومسكي أنه لا مشكلة مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب في الإسلام الراديكالي، بل إنها في حقيقة الأمر تدعم الأصولية الإسلامية في وجه القومية العلمانية التي كان لها سبق ورغبة في أن تحمي موارد الطاقة في المنطقة وتستخدمها في مصلحة شعوب المنطقة، وهذا يمثل في الحقيقة خطراً حقيقياً على المصالح الأمريكية، وعادة ما تكون الحجة المستخدمة أن شعوب المنطقة ليست مستعدة بعد للديمقراطية، لكن تشومسكي يؤكد أن النخب والدكتاتوريات<sup>51</sup> هي التي ليست مستعدة لا الشعوب.

وبالنظر إلى القضية الفلسطينية يؤكد تشومسكي أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم كل صلاحياتها في دعم الطغيان الإسرائيلي وانتهاكاته، سواء بالاتفاقيات المتعلقة بوقف إطلاق

50 نعيم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 11.

51 نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 16-17.

النار، أو بتلك التي تتعلق بوقف عمليات الاستيطان والانسحاب من أراضي 1967، حتى تنفيذ حل الدولتين الذي يراه تشومسكي الحل الأنسب للقضية الفلسطينية.

ويشير في كتاباته إلى أن الشعب الفلسطيني - سواء في غزة أو الضفة - يتعرض لانتهاكات إنسانية جسيمة، تتعرض للتغطية عليها بسبب دعم الولايات المتحدة الأمريكية، وبسبب تزيف الوسائل الإعلامية للحقائق. ويشير إلى أن السبب في دعم الولايات المتحدة الأمريكية للكيان الإسرائيلي هو أن كليهما ينتمي إلى تصنيف المجتمع الاستعماري الاستيطاني، وهو أحد أسوأ أنواع الإمبريالية؛ لأنه يدمر السكان الأصليين أو يسعى للتخلص منهم<sup>52</sup>.

ويرجح تشومسكي - على مدار سبعين عاماً - "حل الدولتين"؛ أي دولة ديمقراطية علمانية ثنائية الجنسية، إذ يراه أنسب وسيلة للحفاظ على حقوق الشعبين، كما أنه الحل الأكثر واقعية للتطبيق؛ إذ يتماشى مع التغيرات والظروف التي صاحبت تطور القضية الفلسطينية على مدار عقود، ويرى أنه ما لم يطبَّق هذا الحل فإن كلاً من الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الإسرائيلي سيحاولان المماطلة بالاستفادة من الخلافات الفلسطينية بين حركتي حماس وفتح من أجل فرض حل دولة الأمر الواقع التي يستأثر بها الكيان الإسرائيلي ولا يتبقى فيها حق للفلسطينيين. وهذا ما تؤكد مخرجات الواقع؛ أنه كلما اتفقت حركتا فتح وحماس انزعج الكيان الإسرائيلي، واختلق إشكاليات مع حماس لتأخير عمليات المفاوضات التي قد تفضي إلى حل الدولتين.

يؤكد تشومسكي في كتاباته أن كلاً من الولايات المتحدة

52 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 125-127.

الأمريكية والكيان الإسرائيلي يسعيان إلى المضي في فرض سياسة الأمر الواقع وتطبيق قرار حل الدولة الواحدة التي لا يمكن أن تكون ديمقراطية؛ لأن هذا يمثل تهديداً ديموغرافياً ووجودياً للكيان الإسرائيلي، كما يشير الرئيس السابق للأمن الداخلي الإسرائيلي يوفال ديكسين، ويؤكد تشومسكي أنه في حال تطبيق قرار حل الدولة فسيكون بمنزلة الخطوة الأخيرة الهادفة للتخلص مما تبقى من حقوق للفلسطينيين في أرضهم.<sup>53</sup>

ويشير جوزيف مسعد، أستاذ التاريخ في جامعة كولومبيا، إلى أن تشومسكي وإن كان يميل إلى حل الدولتين الرامي إلى الحفاظ على حقوق الشعب الفلسطيني، فإنه لا يعترف بحق العودة للاجئين الفلسطينيين الذين هُجروا في 1948، إذ يرفض إدراج هذا الحق على أنه حق يمكن إنجازه.<sup>54</sup>

بخصوص الملف الثالث المتعلق بالتهديد الإيراني، يؤكد تشومسكي أن إيران لا تمثل خطراً عسكرياً حقيقياً، إذ إن نفقاتها العسكرية ضئيلة مقارنة بكثير من دول المنطقة، وفي حال تعرضت لهجوم فإن السياسة التي ستتبعها هي سياسة المماثلة - لا المواجهة - في سبيل الوصول إلى تسوية. لكن خطرها الحقيقي يتمثل في سعيها لزعزعة أمن جيرانها واستقرارهم، وسعيها الدؤوب لزيادة نفوذها في كل من أفغانستان والعراق، والسبب الأكثر أهمية من هذا هو عدم امتثالها للأوامر، على عكس كثير من دول المنطقة، ولذا عادة ما توصم بزعزعة استقرار المنطقة وبدعمها للإرهاب، وهو ما يبرر فرض عقوبات اقتصادية مستمرة عليها.<sup>55</sup>

53 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 175.

54 منصر مرعي، أسامة أبو ارشيد، من وحي القلم: نعوم تشومسكي كاتب منشق، مصدر سابق.

55 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 123.

في نقاشه لقضايا الشرق الأوسط ينتقد تشومسكي بلهجة صريحة قضية الحرب على الإرهاب، التي يؤكد أنها ليست وليدة لحظة 11 سبتمبر 2001، بل ثمة حدث شبيه يؤكد أن ما حدث من تبريرات تبنتها الولايات المتحدة الأمريكية في تدخلاتها في كل من أفغانستان والعراق قد حدث من قبل عندما تدخلت في تشيلي من خلال فرض حرب اقتصادية عليها بهدف إضعاف حكومة الرئيس الاشتراكي سلفادور أليندي، وفي 11/9/1973 حدث انقلاب من قبل الجيش أطاح بحكومة تحالف الوحدة الشعبية المناصر لحكم أليندي، وأنشأ في ما بعد مجلساً عسكرياً علّق جميع النشاطات السياسية في تشيلي، وقمع الحركات اليسارية، وخاصةً الأحزاب الشيوعية والاشتراكية وحركة اليسار الثوري. فيما بعد تولى قائد جيش حكومة أليندي، أوغستو بينوشيه، الحكم رسمياً عام 1974، واعترفت إدارة نيكسون به<sup>56</sup>، وبهذا ابتداء وباء إرهاب الدولة في نصف الكرة الأرضية الغربي بانقلاب عسكري في البرازيل 1964 أسس لدولة نازية قمعية مدعومة من قبل الولايات المتحدة، ثم انقلاب تشيلي<sup>57</sup>.

ويؤكد أن حجة الإرهاب ليست جديدة على السياسة الخارجية الأمريكية، بل إنها أخذت مساحة كبيرة من سياسة رونالد ريغان الذي وصل إلى السلطة عام 1981، مؤكداً أن سياسته الخارجية ركزت على الإرهاب العالمي الذي سماه حينها بـ "وباء العصر الحديث". وقد خلفت حروب ريغان مئات الآلاف من الجثث المشوهة في أمريكا الوسطى والشرق الأوسط، وقُتل مليون ونصف مليون إنسان في جنوب إفريقيا «دولة الأبارتيد» المدعومة من

56 وكالة الأناضول، من أمريكا اللاتينية إلى الشرق الأوسط.. انقلابات دموية بدعم أمريكي، 19 سبتمبر/أيلول 2019، تاريخ زيارة الرابط: 7 سبتمبر/أيلول 2020. <https://cutt.ly/JfcsHR9>

57 نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، مصدر سابق، ص 198.

إدارة ريغان الذي ارتأى حينها ضرورة حماية إفريقيا البيضاء. كذلك فقد دعم ريغان غزو الكيان الإسرائيلي للبنان في 1982 بدعوى الدفاع عن النفس ضد منظمة التحرير، كما كان أغلب ضحاياه من المدنيين في نيكارغوا، فضلاً عن استهدافه لليبي عام 1986 بسبب دعم القذافي وإرساله مساعدات للحكومة في نيكارغوا التي كانت على عدااء مع الولايات المتحدة الأمريكية.<sup>58</sup>

وتكرر الأمر في عهد بوش الابن، الذي أعلن مجدداً الحرب على أفغانستان في 2001 بدعوى ”أن من يؤوي الإرهابيين إرهابي مثلهم، ويجب أن يعاملوا بالقصف والغزو»، كانت حجة الولايات المتحدة الأمريكية أن أفغانستان تؤوي أسامة بن لادن، وعندما استخدمت أفغانستان نفس الحجة بأنها تريد أدلة لتسلم بن لادن، استخفت بمطلبها وقصفتها.<sup>59</sup>

وهذه الأمثلة كلها تؤكد حقيقة مفادها أن ثمة قواعد أساسية لا تحيد عنها السياسة الخارجية الأمريكية، قواعد ينبغي فهمها وإدراك أبعادها عند مناقشة أي مقارنة لتحقيق الاستقرار في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط، ومن أبرز تلك القواعد ضرورة الحفاظ على قدرتها على الوصول إلى مصادر الطاقة، لذا لا إشكالية بالنسبة لها إن كانت صيغة الحكم ديمقراطية أو استبدادية ما دامت ضمنّت قدرتها على الحفاظ على مصالحها في المنطقة.

## التحديات الصاعدة

على الرغم من تصدر الولايات المتحدة الأمريكية للمشهدين العسكري والاقتصادي على مستوى عالمي، ومن ثم فرضها مبدأ

58 المصدر السابق، ص 187.

59 المصدر السابق، ص 193.

الهيمنة التي تتيح لها فرض القوانين التي تتناسب مع مصالحها، بدأ أفول نجمها منذ السبعينيات، وهي السنوات التي واجهت فيها تحديات متزامنة، من الداخل والخارج على حد سواء، فمن الداخل بدأت آثار الهندسة الجديدة للاقتصاد بالظهور، إذ ابتدأ عصر التحديات الاقتصادية التي فرضتها الأزمات الاقتصادية من جراء التحول إلى استثمارات الأسواق المالية التي تسببت في هجرة العمل إلى الخارج بدلاً من تركيز الإنتاج في الداخل على غرار ما حدث خلال الخمسينيات والستينيات. من جهة أخرى ازدادت التحديات الخارجية ببروز منافسين اقتصاديين جدد على مستوى عالمي، فبحلول عام 1970 تراجعت ثروتها على مستوى العالم لتصل إلى 25٪ فقط، وذلك بسبب ظهور قطبية ثلاثية اقتصادية تشكلت من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا إضافة إلى الأسواق السياسية التي ابتدأ عصرها بالنمو الياباني الذي تحول إلى أكثر المناطق ديناميكية حينها<sup>60</sup>.

وخلال العقود الأخيرة تنامت التحديات واتسعت لتخرج من إطار التنافس الاقتصادي وتأخذ حيزاً أمنياً وعسكرياً، ووفقاً لتشومسكي يمكن تقسيم التحديات التي تواجه النفوذ الأمريكي عالمياً من خلال التركيز على ثلاث مناطق:

### منطقة شرق آسيا

استشعرت الولايات المتحدة الأمريكية الخطر منذ استقلال الصين، وهو ما أطلق عليه "خسارة الصين"، ولم تكتف الصين بإعلان استقلالها وحسب، بل تمكنت خلال عقود من مزاحمة الولايات المتحدة الأمريكية في المجال الاقتصادي بل والأمني. وعادة ما يشار إلى أن القلق من الصين بسبب برغبتها

60 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 78.



في التوسع العسكري، وخططها الاقتصادية التي تمثل عدم استقرار «المناطق الحيوية من العالم»، أي تهديد المصالح الأمريكية.

ابتدأت المناوشات بين الطرفين بشكل حاد بسبب عدم التزام الصين باللباقة الدولية عندما اعترضت على خطة إشراك حاملية الطائرات (يو إس إس جورج واشنطن) التي تعمل بالطاقة النووية في مناورات جمعت بين الولايات المتحدة الأمريكية وكوريا الجنوبية بالقرب من ساحل الصين في 2010، وهو ما عدته الصين تهديداً صريحاً لها. الأمر الثاني الذي يثير قلق الولايات المتحدة الأمريكية هو زيادة الإنفاق العسكري للصين، فوفقاً لدراسة أجراها البنتاغون توسعت الميزانية العسكرية للصين إلى 156 مليار دولار في 2009، أي ما يوازي خمس ما ينفقه البنتاغون لإشعال الحرب وتنفيذها في كل من العراق وأفغانستان في نفس العام، أي جزء بسيط من الميزانية العسكرية الأمريكية<sup>61</sup>.

إضافة إلى ذلك تنامي الدور الاقتصادي للصين بشكل كبير، ووفقاً لعالم الاقتصاد ستيفان كينغ في كتابه (فقدان السيطرة: المخاطر الناشئة التي تهدد الازدهار الغزير)، فكل التدايعات بالنسبة للنظام العالمي مهمة، إذ برزت منظمة شنغهاي للتعاون التي تضم عدداً كبيراً من دول آسيا، ولكنها تحظر انضمام الولايات المتحدة الأمريكية لها، ومن المحتمل أن تشكل اتحاداً تجارياً جديداً يشمل المنتجين والمستهلكين على حد سواء<sup>62</sup>.

وتضم منظمة تعاون شنغهاي دول آسيا الوسطى وروسيا، وسرعان ما ستتنضم إليها الهند وباكستان وإيران كأحد المراقبين، وقد طلب من الولايات المتحدة الأمريكية أن تسحب

61 نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، مصدر سابق، ص 210.

62 المصدر السابق، ص 217-218.

قواتها من المنطقة.

والهدف من هذه المنظمة ليس مجرد التكامل وحسب، بل الوصول إلى الأسواق الأوروبية وأسواق الشرق الأوسط، ولذا عملت الصين على بناء طريق سريع أعالي الجبال يصل إلى ميناء «غوادور» في باكستان، مثل هذا الطريق سيحمي شحنات النفط من التدخلات الأمريكية، وهذا يأتي ضمن التعاون الصيني/الباكستاني الذي قد يفضي إلى استقرار وتنمية على المستوى العالمي، وهو ما يمثل أهمية بالغة لإقليم (زنغيانغ) الغربي الذي سيسهل على الصين الوصول إلى قواعدها في المحيط الهندي لأغراض اقتصادية قد تستخدم أيضاً لأغراض عسكرية، والنقطة المهمة هنا أنها ستصل إلى «الخليج العربي» لأول مرة في عصرها الحديث. كما عمدت الصين، في 2015، إلى إنشاء (البنك الآسيوي للاستثمار في البنية التحتية)، الذي يعتقد أنه سيكون منافساً لمؤسسات بريتون وودز (صندوق النقد الدولي) و(البنك المركزي)، كما يعتقد أن منظمة شنغهاي سيتحول دورها إلى دور قريب من (الناو)<sup>63</sup>.

وبهذا نرى أن الصين تحاول أن تبني مقاربتها الخاصة في إرساء نفوذها على المستوى العالمي، فهي لا تعتمد فقط على التوسع العسكري والاقتصادي من منطلق الهيمنة والقوة، أو العمل على زعزعة استقرار الدول من خلال تزويدها بالأسلحة النووية- كنموذج باكستان والهند- مع إثارة النزاعات العرقية والدينية، بل تحاول أن تبني خطة مختلفة وجديدة تعمل على إشراك الدول في مصالح مشتركة في المرحلة الراهنة، وقد يكون السبب في ذلك أنها لا تستطيع مواجهة الهيمنة الأمريكية بشكل منفرد ولو من

63 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 311.

خلال التفوق الاقتصادي.

لكن يشير تشومسكي إلى حقيقة مفادها أنه على الرغم من تفرد كل من التجربة الصينية والهندية في الجانبين الاقتصادي والتكنولوجي إلى حد ما، فإن كلتا الدولتين تعانيان من مشاكل داخلية عميقة قد لا تمكنهما من تحقيق تأثير ونفوذ على مستوى عالمي<sup>64</sup>.

### منطقة أوروبا

على الرغم من تمكن الولايات المتحدة الأمريكية من تهيئ الدور الأوروبي عن مجال منافستها؛ من خلال الاتفاقيات الاقتصادية، أو من خلال تفعيل آليات دور (الناتو) الذي تتحكم فيه الولايات المتحدة الأمريكية نفسها، لا تزال بعض دول أوروبا الشرقية تمثل خطراً على كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، فالتهديد الأمني للاتحاد السوفيتي، الذي انتهى خطره بتفككه بعد الحرب الباردة، لم ينته تماماً، إذ ما زالت شرارته تندلع من حين لآخر، ولعل الحرب الروسية/الجورجية في 2008 تعد أولى محاولات روسيا لوقف توسع الناتو. وتعود جذور المشكلة إلى عام 1991 بعد الحرب الباردة، إذ تصادمت وجهتا نظر ترشح الأولى فكرة «أوروبا الواسعة» التي يشكل الاتحاد الأوروبي نواتها، ولكن بحدود متماهية مع الأمن الأوروبي الأطلسي والمجتمع السياسي، في حين ترشح الأخرى فكرة «أوروبا الكبرى»، أي أوروبا القارية التي تضم أقطاباً متعددة ويكون مركزها بروكسل وموسكو وأنقرة، بهدف التغلب على الانقسامات التاريخية.

تغلبت النظرة الأولى على الثانية لعدة أسباب، وانتهى المطاف

64 المصدر السابق، ص 94.

بأوروبا منقسمة على رؤيتين غربية وشرقية، ولذا استشعرت روسيا الخطر من توسع الناتو في أوكرانيا ومحاولة إخراجها من فلك موسكو إلى الغرب، وهو ما يشكل لها خطراً وجودياً، وهذا ما تدل عليه المشكلة الأوكرانية القائمة حالياً<sup>65</sup>.

### منطقة الشرق الأوسط

تعد ثورات الربيع العربي هي التهديد الأكبر الذي واجهته الولايات المتحدة الأمريكية في العقد الأخير؛ نظراً لما تمثله المنطقة من أهمية استراتيجية أمنياً واقتصادياً بالنسبة لها. ويركز تشومسكي في انتقاده لتعامل الولايات المتحدة الأمريكية في ملفات الشرق الأوسط على عدة قضايا أبرزها تبرير العنف تحت اسم «مكافحة الإرهاب»، إذ إنها بغزوها لأفغانستان بذريعة محاربة الإرهاب عملت على نشر الرعب من إحدى زوايا أفغانستان إلى العالم أجمع. كما أنها من خلال غزوها للعراق تسببت بقتل وتشريد ملايين العراقيين، كما أنها أسهمت في تدمير أحد أقوى المؤسسات التعليمية في المنطقة، فضلاً عن أنها غذت الصراعات الطائفية التي تعد اليوم أحد أبرز أسباب استمرار القتال في هذه الدول. وتظهر دراسات معهد أوسلو لأبحاث السلام أن ثلثي الكوارث الناجمة من نزاعات المنطقة ناجمة عن تدخلات الخارج<sup>66</sup>.

وعلى الرغم من استخدام فزاعة «الإسلام الراديكالي»، أو حركة الإخوان، يؤكد تشومسكي أن الولايات المتحدة الأمريكية، هي والغرب، لا مشكلة لهم مع هذه القضية، والقضية التي

65 المصدر السابق، ص 314.

66 المصدر السابق، ص 319.

تمثل خطراً حقيقياً بالنسبة لهم هي «الاستقلال»<sup>67</sup>.

ويؤكد تشومسكي في كتاباته أن الحل الأنجع لإشكالية الإرهاب هي المقاربة النفسية لجذور المشكلة، والبحث في الأسباب الاقتصادية والعسكرية المسببة لها بدلاً من تعميقها بنشر العنف من خلال استخدام القوة والتعذيب وتدمير المجتمعات. ويشير كذلك إلى أن إشكالية استقرار هذه الدول ترتبط ببعدين؛ الأول يتعلق بالتدخلات الأمريكية المستمرة في دعم الدكتاتوريات وتغييب صوت شعوب هذه المنطقة، والالتفاف على مطالبها بدعم الانقلابات وتزييف الحقائق، وهذا كله يعيق أي محاولة لتحقيق الديمقراطية والاستقرار. والبعث الثاني يتعلق بطبيعة هذه المجتمعات نفسها، إذ إن إشكالياتها لا يمكن أن تحل عن طريق تدخل الخارج، بل عن طريق الجهود الداخلية التي يجب أن تبناها الدول نفسها، ويشير إلى أن إشكالية أفغانستان - على سبيل المثال - لا يمكن أن تحل بالمقترحات الغربية، بل يكمن الحل في ضرورة أن تقوم دول المنطقة نفسها - كروسيا والصين والهند وإيران وباكستان - بمساعدة الأطراف الداخلية على حل مشاكلهم بالوسائل السلمية، بدلاً من إشراك القوى الطامعة<sup>68</sup>.

## التحديات العالمية

من ضمن الملفات التي يؤكد تشومسكي أهميتها في كتاباته القضية البيئية والتهديد النووي، أما التهديد النووي فيرى أنه التهديد الأخطر للبشرية، والسبب هو في أنه يمثل خطراً وجودياً حقيقياً على البشرية جمعاء. ويشير إلى أن العالم ارتاح إلى حد ما بعد توقيع الاتفاق النووي في فيينا بين إيران ومجموعة

67 المصدر نفسه، ص 40.

68 نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل، مصدر سابق، ص 130.

الخمسة + ألمانيا، إذ سعت تلك الخطة إلى منع كل السبل التي قد تتيح لإيران الحصول على المواد اللازمة لصنع أسلحة نووية على مدى أكثر من جيل. ويشير في كلامه إلى ما قاله جواد ظريف في المؤتمر الدوري الاستعراضي لمعاهدة حظر انتشار السلاح، إذ أكد أن المنطقة لن تستقر ولا يحدث فيها سلام ما دامت الولايات المتحدة الأمريكية والغرب يمنعون دولاً من حيازة السلاح النووي في حين يغضون الطرف عن دول تمتلكه بالفعل وهي غير موقعة على معاهدات الحد من التسليح التي تعد إحدى أهم معاهدات حظر انتشار السلاح، وهي كل من الكيان الإسرائيلي والهند وباكستان، وفي حال أرادت المنطقة الاستقرار والسلام فيجب إزالة السلاح النووي ككل من المنطقة لا من بعض الدول وحسب. ويؤكد تشومسكي أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم قضية امتلاك السلاح النووي من عدمه ضمن سياسات الحفاظ على مصالحها وضرب خصومها بعضهم ببعض<sup>69</sup>.

وفي نفس المجال يشير إلى التهديد البيئي الذي يتنامى خطره بسبب عدم التزام الدول الصناعية - وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية - باتفاقيات حفظ منسوب التلوث في سبيل الحفاظ على البيئة من الاحتباس الحراري، الذي لا يقل خطراً عن السلاح النووي في تأثيره في الوجود البشري. ووفقاً لكتاباتته تتحمل الولايات المتحدة الأمريكية الدور الأكبر في انتشار هذا الخطر؛ بسبب استمرارها في خططها الصناعية، وانسحابها من كثير من الاتفاقيات الدولية، والسبب في ذلك برأيه يعود إلى سيطرة «أسياد البشر»، كما أطلق عليهم آدم سميث في كتابه (ثروة الأمم)، وهم - في العصر الحالي - المؤسسات المالية التي تحكم قبضتها على

69 نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 282.

السياسة والاقتصاد في الولايات المتحدة الأمريكية، وتعمل على تطوير القوانين والقرارات السياسية لخدمة مصالحها من خلال تطوير قرارات الضرائب والتعريفات الجمركية، كما تعمل على استخدام صلاحيتها وتأثيرها في المجتمع من خلال وسائل الإعلام التي تعمل على تسفيه فكرة «الاحتباس الحراري» و«التحديات البيئية»، بوصفها جزءاً من القضايا المبالغ فيها والتي لا تستحق الاهتمام، وكل هذا يؤثر في وعي المجتمع وفي قراراته السياسية- من خلال الانتخابات- كما يؤثر في القرار السياسي نفسه من خلال التحكم بالسياسيين، من خلال تمويل الانتخابات، ومن ثم يكون له تأثير سلبي في الإجراءات التي يجب أن يتخذها المجتمع والحكومة تجاه التحديات البيئية<sup>70</sup>.

### الشركات متعددة الجنسيات

في القرن الثامن عشر أشار آدم سميث إلى أهمية دور «أسياد البشر» الذين يتحكمون بالسياسات الاقتصادية ويؤثرون في مختلف مناحي الحياة، لكن وصفه لم يقتصر على الحقبة التي عاصرها، بل امتد بنفس المنهجية مع تغير الأسماء في الوقت الحالي، فأسياد البشر اليوم لم يعودوا ثلثة من الحرفيين والصناعيين، بل أصبحوا رؤساء ومديرين للشركات متعددة الجنسيات، التي تضع في حسابها مصالح «أفرادها» فوق أي اعتبار لأية حدود جغرافية. مثل هذه المنهجية- كما يشير تشومسكي- تسببت في ظهور كثير من الأزمات الاقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية، كما أنها تسببت في خلق كثير من المشاكل للدول نتيجة لعجزها عن مجاراة القوة الاقتصادية والتكنولوجية التي تمتلكها الشركات المتعددة الجنسيات، إضافة إلى قدرتها على فرض نفسها على

70 المصدر السابق، ص 206.

الصعيد الدولي الذي يخرق الحدود. بموجب تأثيرات العولمة. يركز تشومسكي كثيراً على خطورة تأثير هذه الشركات، إذ لا يقتصر تأثيرها على المستوى المحلي، بل تشمل خطورتها المستوى الدولي، إذ تعد أبرز إفرات العولمة التي أفضت إلى ظهور فواعل جديدة - إلى جانب الدولة - على مستوى الواقع الدولي. وعلى العكس من الجماعات المتطرفة والإرهابية - التي تمكنت من اختراق القوانين الدولية وأسست لنفسها حدوداً على أرض الواقع على غرار داعش - التي تصنف ضمن تهديدات الأمن على مستوى عالمي، لا تعد هذه الشركات أطرافاً مهددة للأمن رغم خطورتها؛ إذ إن سيطرتها على رؤوس الأموال، وتحكمها بالسياسات والخطاب الإعلامي - على مستوى عالمي - يمكنها من تبرير سياساتها الاقتصادية المضرة بالمناخ، والذي يعد من أبرز التهديدات الأمنية التي تواجه العالم اليوم.



## المثقف ودوره في المجتمع

من ضمن القضايا التي يثيرها تشومسكي في كتاباته أهمية دور المثقف في تشكيل الرأي العام للمجتمع تجاه مختلف القضايا. ويصنف تشومسكي في أحد مقالاته "مسؤولية أصحاب الفكر" إلى فئتين، مفكرين أصحاب قيم ومبادئ، وعادة ما يقارعون أصحاب السلطة، ويكون هدفهم الأساسي هو الحقيقة ونشر الوعي في المجتمع. أما الصنف الثاني فهم مفكرو السلطة، أو ما يطلق عليه بالتكنوقراط والسياسيين الذين يبررون قمع المؤسسات السياسية، ويعمقون الفكرة التي تؤكد ضرورة سيطرتها ولو بالقوة، وهذا الصنف عادة ما يحظى بامتيازات السلطة والتقدير، ويكون تأثيرهم شديد الخطورة، خصوصاً في حال تمكينهم من الوصول إلى مختلف فئات المجتمع من خلال وسائل الاتصال المختلفة.

يؤكد تشومسكي أن مسؤولية المفكرين تتعلق بمسؤولياتهم الأخلاقية ككائنات إنسانية تستحق الاحترام، لكونها مؤهلة لمعرفة الحقيقة ومن ثم الدفاع عن قضايا العدالة والرحمة والسلام.

وفي مقاربتة لتعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع هذا المفهوم، يشير إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية تستخدمها ضمن سياساتها، سواء في الداخل أو الخارج، فالمفكر الحقيقي بالنسبة لها هو المفكر الذي يجاهر بتوجهاته في بلاد عدو، لكن لا يمكن أن ينال شرف التكريم والتقدير إذ وقف في وجه مصالحها، إذ يوصف بـ«المنشق»، ومثال على ذلك نيلسون مانديلا الذي كانت قهمنه الأساسية هي مطالبته بحقوق بلاده ضد دولة الأبارتيد في جنوب إفريقيا، ولم يُرفع اسمه من قائمة الإرهاب

من وزارة الخارجية إلا في 2008<sup>71</sup>. كما أنه هو نفسه يُستَعد من وسائل الإعلام، ويُعدُّ منشقاً ومواطناً كارهاً لبلده فقط لأنه لا يكف عن انتقاداته لسياساتها الخارجية.

71 نعيم تشومسكي، من يحكم العالم؟، مصدر سابق، ص 18 - 21.

## خاتمة

أمام غزارة إنتاجه الفكري وتأثيره المجتمعي على المستويين الوطني والدولي يواجه تشومسكي جملة من الانتقادات، أبرزها نقد أسلوبه السياسي في النقد، فكونه متخصصاً في علم اللغة لا يخوله أن يفقه في القضايا السياسية، كما يشير البعض إلى أن غزارة إنتاجه الفكري تشوبها السطحية والتكرار وعدم تقديم جديد، والسبب قد يكون في أن معظم أعماله هي عبارة عن مقابلات أو محاضرات مفرّغة، وليست ناتجة عن جهد فكري منظم.

بالمقابل يؤكد مؤيدوه أن هدف تشومسكي في نقده السياسي هو الوصول إلى الناس وتنويرهم لا إنتاج تحف فكرية نظرية لا تؤثر في الواقع. كما يشيرون إلى حقيقة أن بروزه كمفكر منشق- بغض النظر عن مدى جودة إنتاجه الفكري- يؤكد أنه تمكن من نقاش قضايا تلامس واقع الناس وتؤثر في حياتهم لا على مستوى الداخلي الأمريكي وحسب بل على مستوى العالم.

وبشكل عام نستنتج من كتابات تشومسكي أنه لا يتوافق مع التوجه العام للسياسة الخارجية الأمريكية، ويراها السبب الرئيسي في كثير من الشرور حول العالم، ليس بسبب تدخلاتها في شؤون الدول الأخرى بذريعة حماية مصالحها الاقتصادية وحسب، بل حتى على مستوى الأمن العالمي. وينتقد كثيراً المؤسسات المالية والإعلامية، ويؤكد خطورة الدور الذي تقوم به في الواقع. إلى جانب ذلك يشير إلى ضرورة عدم الانشغال بالقضايا السياسية الراهنة عن تلك التي تمثل خطورة على الوجود البشري ككل؛ كالتهديد النووي والأزمة البيئية.

وبخصوص الديمقراطية يؤكد تشومسكي أنه قد لا يكون من الممكن بناء وتصميم مجتمع عادل ومثالي بالقدرات البشرية العادية، لكن يمكن أن يعطي البشر إرشادات تمكن المجتمعات من تبني قيم نبيلة تمكنها من تنظيم جهودها للتصدي للتحديات التي تواجهها، وكما يشير الفيلسوف الاجتماعي جون ديوي فإنه ما لم تكن كل المؤسسات التجارية والإعلامية والإنتاجية خاضعة للديمقراطية التشاركية فلن يكون هناك مجتمع ديمقراطي ناجح.

## قائمة المراجع:

- أراجيك بايوجرافي، من هو نعيم تشومسكي؟!، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/ufjrKkg>
- الجزيرة نت، نعيم تشومسكي.. المفكر المناهض لسياسة أميركا، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/pfhdkip>
- حسن صعب، تشومسكي الأفكار والمثل، موقع الميادين، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/gfhgMLT>
- ديفيد بارساميان، نعيم تشومسكي، الدعاية والرأي العام: أحاديث مع تشومسكي، تعريب إبراهيم يحيى الشهابي، مكتبة العبيكان، المملكة العربية السعودية، 2004.
- سمير شناوي، صناعة الموافقة.. الاقتصاد السياسي لوسائل الإعلام، موقع المحطة، 2018/5/10، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/xfWmHZg>
- غريغ روجيرو، كتاب احتلوا: تأملات في الحرب الطبقية والتمرد والتضامن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2014.
- محمد شودب، نظرية تشومسكي اللغوية، موقع سطور، 2019/3/28، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/mfhgm5Z>
- منصر مرعي، أسامة أبو ارشيد، من وحي القلم: نعيم تشومسكي كاتب منشق، قناة الجزيرة، 2015/6/9، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 . <https://cutt.ly/tfQXNvx>
- نعيم تشومسكي، قداس للحلم الأمريكي، فيلم بواسطة بيتر هويتشيسون، كيلي بايكس، جاريد ب. سكوت.

- نعوم تشومسكي، صناعة المستقبل: الاحتمال، التدخلات، الإمبراطورية والمقاومة، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، بيروت، 2014.
- نعوم تشومسكي، من يحكم العالم؟، دار الكتاب العربي، بيروت، 2017.
- نعوم تشومسكي، سي جي بوليكرونيو، العالم إلى أين؟، دار الساقى، بيروت، 2018.
- نعوم تشومسكي، احتلوا: تأملات في الحرب الطبقية والتمرد والتضامن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 2014.
- نعوم تشومسكي، من يمتلك العالم؟، ترجمة أسعد الحسين، مكتبة بغداد، سورية، 2014.
- وكالة الأناضول، من أمريكا اللاتينية إلى الشرق الأوسط.. انقلابات دموية بدعم أمريكي، 2019/11/19، تاريخ زيارة الرابط: 2020/9/7 <https://cutt.ly/JfcsHR9>
- Amy Goodman, "The Life and Times of Noam Chomsky". Democracy Now, November 26, 2004, reached on: September 7, 2020, available in: <https://cutt.ly/ufQLOJq>
- Harry Kreisler, "Activism Anarchism and Power" Noam Chomsky Interview: Conversations with History; Institute of International Studies, UC Berkeley, reached on: September 7, 2020, available in: <https://cutt.ly/zfQCiyk>
- Robert F. Barsky, "Noam Chomsky: A Life of Dissent Hardcover" February 1, 1997.



## مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعِدُّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

### الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

### الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافي.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

### الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.
- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.
- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

## مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

### 1. الأبحاث والدراسات:

- حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص المركز، وهي:
- الدراسات السياسية.
  - الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.
  - الدراسات الحضارية والتنمية.
  - دراسات الفكر الإسلامي.

### 2. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

### 3. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

## عضوية المركز في المنظمات العالمية:

**MMIRA** Mixed Methods  
International Research Association

**WAPOR**  
WORLD ASSOCIATION FOR PUBLIC OPINION RESEARCH

**GlobalResearch**  
Centre for Research on Globalization  
[globalresearch.ca](http://globalresearch.ca) / [globalresearch.org](http://globalresearch.org)



**TTCSP**  
THINK TANKS AND CIVIL SOCIETIES PROGRAM  
UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات  
Strategic Fiker Center for Studies

   flkercenter

+90 536 777 07 76

+90 212 7077 79

info@fikercenter.com

publish@fikercenter.com

